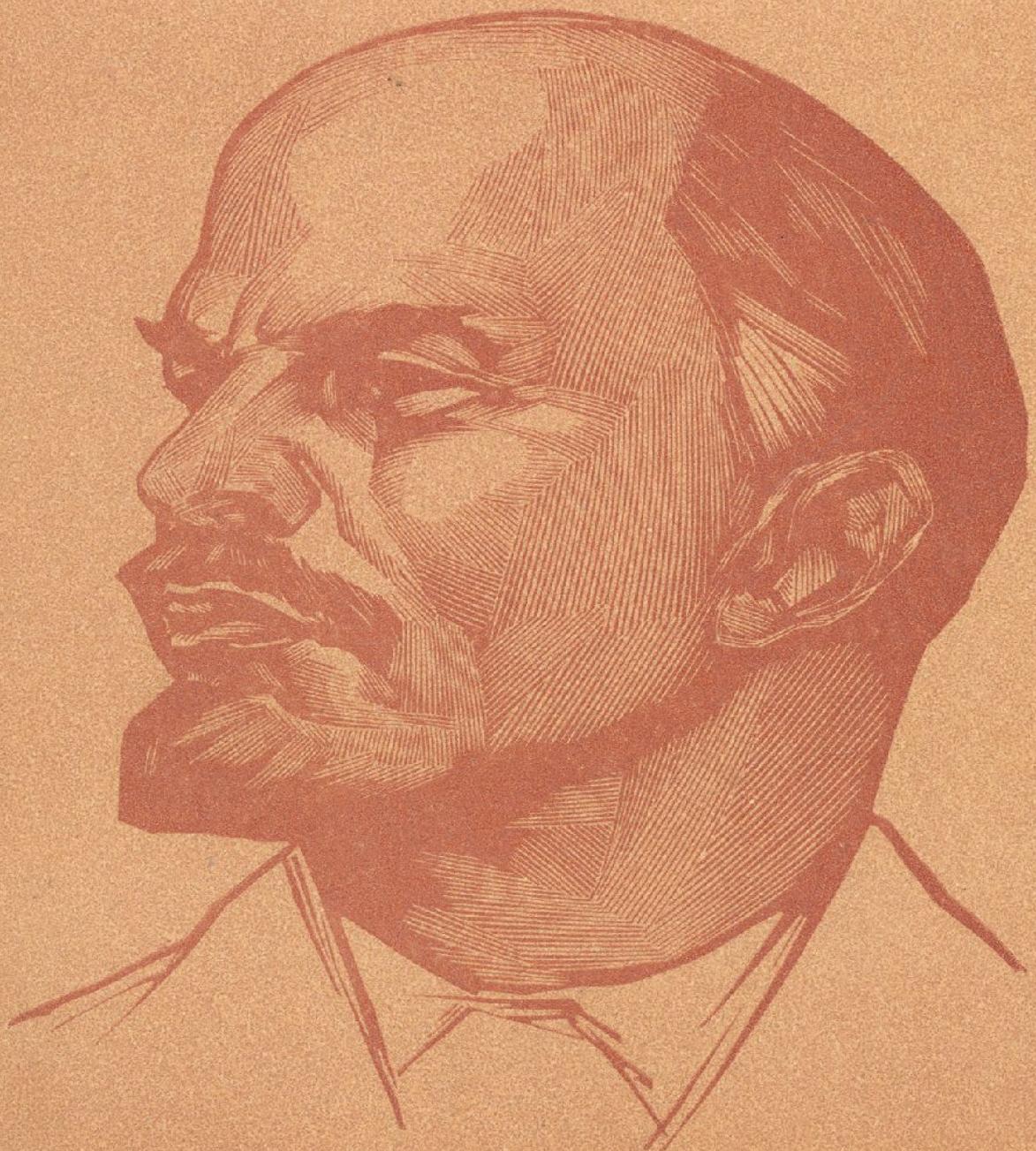


لِبْنَانٌ

مُصَادِرُ الْمَارِكَسِيَّةِ التَّلَاثَةِ
وَاقْسَامُهَا الْمَكْوَنَةِ التَّلَاثَةِ



يا عمال العالم ، اتحدوا !

لينينيت

مصادر الماركسية الثلاثة
وافتراضها المكونة الثلاثة

مجموعه مقالات



دار التقديم
موسكو

مصادر الماركسية الثلاثة والقسامها المكونة الثلاثة (١)

يشير مذهب ماركس ، في مجلد العالم المتمدن ، اشد العداء والعقد لدى العلم البرجوازي كلّه (سواء الرسمي او الليبيرالي) ، اذ يرى في الماركسية ضرباً من «بدعة ضارة». ليس بالامكان توقع موقف آخر ، اذ لا يمكن ان يكون ثمة علم اجتماعي «غير متخيّز» في مجتمع قائم على النضال الطبقي . فكلّ العلم الرسمي والليبيرالي يدافع ، بصورة او باخرى ، عن العبودية الماجورة ، بينما الماركسية اعلنتها حرّياً لا هراوة فيها ضد هذه العبودية . آنٌ تتوقع عليهما غير متخيّز في مجتمع قائم على العبودية الماجورة ، لمن السذاجة الصبيانية كان تطلب من الصناعيين عدم التخيّز في مسألة ما اذًا كان يجدر تخفيض ارباح الرأسمال من اجل زيادة اجرة العمال . ولكن ليس ذلك كل ما في الامر . فان تاريخ الفلسفة وتاريخ العلم الاجتماعي يبيّنان بكل وضوح ان الماركسية لا تشبه «البدعة» في شيء، بمعنى انها مذهب متجر ومنظور على نفسه ، قام بمغزل عن الطريق الرئيسي لتطور المدينة العالمية . بل بالعكس . فان عبقرية ماركس كلّها تتجلّ بالضبط في كونه اجاب عن الاسئلة التي طرحتها الفكر الانساني التقديمي . وقد ولد مذهبة بوصفه التئمة المباشرة والطبيعية لاذاهب اعظم ممثل الفلسفه والاقتصاد السياسي والاشراكية .

ان مذهب ماركس لكلّي العبروت ، لانه صحيح . وهو متناسق وكامل ؛ ويعطي الناس مفهوماً منسجماً عن العالم ، لا يتتفق مع اي

ضرب من الاوهام ، ومع اية رجعية ، ومع اي دفاع عن الطغيان البرجوازي . وهو الوريث الشرعي لخير ما ابدعته الانسانية في القرن التاسع عشر : الفلسفة الالمانية ، والاقتصاد السياسي الانجليزي ، والاشتراكية الفرنسية .

واننا سنتناول يايجاز مصادر الماركسية الثلاثة هذه ، التي هي في الوقت نفسه اقسامها المكونة الثلاثة .

٦

ان فلسفة الماركسية هي المادية : ففي غضون كل تاريخ اورو با العديث ، ولا سيما في اواخر القرن الثامن عشر ، في فرنسا ، حيث نشب نضال حاسم ضد كل تفاصيات القرون الوسطى ، ضد الاقطاعية في المؤسسات وفي الافكار ، كانت المادية الفلسفة الوحيدة المنسجمة الى النهاية ، والامينة لجميع تعاليم العلوم الطبيعية ، والمعادية للأوهام ولتصنم التقوى ، الخ . ولذا بذل اعداء الديموقراطية كل قوائم «للحضن» المادية ، لتفويضها ، للافتراء عليها ؛ ودافعوا عن شق اشكال المثالية الفلسفية التي تزول ابداً ، على نحو او آخر ، الى الدفاع عن الدين او الى نصرته .

وقد دافع ماركس وانجلس بكل حزم عن المادية الفلسفية وبيّنا مراراً عديدة ان الانحرافات عن هذا الاساس ، ايـاً كانت ، خاطئة بصورة فادحة . ووجهات نظرهما معروضة باكثر ما يكون من الوضوح والتفاصيل في مؤلفي انجلس : «لودفيغ فوربان» و«ضد دوهرينغ» ، اللذين هما ، على غرار «البيان الشيوعي» ، من عداد الكتب التي يجب ان تكون دائمة بين يدي كل عامل واع .

ولكن ماركس لم يتوقف عند مادية القرن الثامن عشر ، بل دفع الفلسفة خطوات الى الامام . فاغناتها بمكتسبات الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ، ولا سيما بمكتسبات مذهب هيغل ، الذي قاد بدوره الى مادية فوربان . واهم هذه المكتسبات ، الديوكتيك ، اي نظرية التطور ياكمل مظاهرها واشدها عمقاً ، واكثرها بعداً عن احادية الجانب . نظرية نسبية المعارف الانسانية التي تعكس المادة في تطورها الدائم . ان احدث اكتشافات العلوم الطبيعية - الراديوم ،

والالكترونيات وتحول العناصر - قد اثبتت بشكل رائع صحة مادية ماركس الديالية الكيتية ، رغم انف مذاهب الفلسفه البرجوازية مع ردّاتهم «الجديدة» نحو المثالية القديمة المهرئة .

وقد عمق ماركس المادية الفلسفية وطورها ، فانتهى بها الى نهايتها المنطقية ووسع نطاقها من معرفة الطبيعة الى معرفة المجتمع البشري . إن مادية ماركس التاريخية كانت اكبر انتصار احرزه الفكر العلمي . فان البلبلة والاعتباط اللذين كانا سائدین حتى ذلك الحين في النظارات الى التاريخ والسياسة ، قد حللت محلهما نظرية علمية روعة في التناسق والتجانس والانسجام ، تبين كيف يت بشق ويتطور ، من شكل معين من التنظيم الاجتماعي ، ومن جراء نمو القوى المنتجة ، شكل آخر ، ارقى ، - كيف تولد الرأسمالية من الاقطاعية ، مثلاً .

وكما ان معرفة الانسان تعكس الطبيعة القائمة بصورة مستقلة عنه ، اي المادة في طريق التطور ، كذلك تعكس معرفة الانسان الاجتماعية (اي مختلف الاراء والمذاهب الفلسفية والدينية والسياسية ، الخ .) نظام المجتمع الاقتصادي . ان المؤسسات السياسية تقوم كبناء فوقی على اساس اقتصادي . فاننا نرى ، مثلاً ، كيف تقوم مختلف الاشكال السياسية للدول الاوروبية الحصرية بدور ادوات لتعزيز سيطرة البرجوازية على البروليتاريا . ان فلسفة ماركس هي مادية فلسفية مكتملة ، اعطت الانسانية ، والطبقة العاملة وخاصة ، ادوات عظيمة للمعرفة .

٢

بعدما اكده ماركس ان النظام الاقتصادي يشكل الاساس الذي يقوم عليه البناء الفوقي السياسي ، اغار انتباذه اكثر ما اغاره لدراسة هذا النظام الاقتصادي . ومؤلف ماركس الرئيسي «رأس المال» مكرّس لدراسة النظام الاقتصادي في المجتمع الحديث ، اي الرأسمالي .

لقد تكون الاقتصاد السياسي الكلاسيكي ما قبل ماركس في انجلترا ، وكانت اكثراً البلدان الرأسمالية تطوراً . فان آدم سميث ودافيد ريكاردو اللذين درساً النظام الاقتصادي كانوا قد سجلاً بداية

نظريّة القيمة-العمل . وواصل ماركس عملهما . فعلل هذه النظريّة بدقة وطورها بصورة منسجمة . وبينَ أن قيمة كل بضاعة منوطة بوقت العمل الضروري اجتماعيًّا لانتاج هذه البضاعة .

وحيث كان الاقتصاديون البرجوازيون يرون علاقات بين الأشياء (مبادلة بضاعة ببضاعة أخرى) ، اكتشف ماركس علاقات بين الناس . ان تبادل البضائع يعبر عن الصلة بين المنتجين المنفردين ببساطة السوق . والمال (النقد) يعني ان هذه الصلة تزداد وثوقاً ، جامدة في كل واحد لا يتجزأ كل حياة المنتجين المنفردين الاقتصاديَّة . والرأسمال يعني استمرار تطور هذه الصلة : فان قوة عمل الإنسان تغدو بضاعة . فالعامل المأجور يبيع قوة عمله لمالك الأرض ولصاحب المصنوع وأدوات الإنتاج . والعامل يستخدم قسماً من يوم العمل لتغطية نفقات أعماله واعالة أسرته (الأجرة) ؛ ويستخدم القسم الآخر للشغل مجاناً ، خالقاً للرأسمالي القيمة الزائدة ، التي هي مصدر ربح ، مصدر اثراء للطبقة الرأسمالية .

ان نظرية القيمة الزائدة تشكل حجر الزاوية في نظرية ماركس الاقتصاديَّة .

ان الرأسُمال الذي يخلقه عمل العامل ينبع بشقائه على العامل ، ويُخرب صغار أرباب العمل ، وينشئ جيشاً من العاطلين عن العمل . وانتصار الإنتاج الضخم في الصناعة أمر ظاهر من النظرة الأولى ؛ ولكننا لنلاحظ ظاهرة مماثلة في الزراعة أيضاً : فان تفوق الاستثمار الزراعي الضخم واستخدام الآلات يزدادان ، والاستثمارات الفلاحية تقع في ربقة الرأسُمال النقدي وتنحط ويحل بها الخراب تحت وطأة تكثينها المتأخر . ان اشكال انحطاط الإنتاج الصغير في الزراعة تختلف عنها في الصناعة ، ولكن انحطاطه نفسه واقع لا جدال فيه .

ان الرأسُمال ، اذ يسعق الإنتاج الصغير ، يؤدي إلى زيادة انتاجية العمل وإلى نشوء وضع احتكاري في صالح اتحادات أكبر الرأسماليين . واكثر فأكثر يزداد الإنتاج نفسه اتساماً بالصفة الاجتماعيَّة - فمئات الآلاف والملايين من العمال يُجتمعون في عضوية اقتصاديَّة متناسقة ، بينما قبضة من الرأسماليين تستأثر بنتاج العمل المشترك . وتشتد فرضيَّة الإنتاج ، والازمات والركض المجنون . وراء الأسواق ، وعزز سواد السكان .

ان النظام الرأسمالي يزيد من تبعية العمال ازاء الرأسمال ويخلق في الوقت نفسه قدرة العمل الموحد العظيمة .

لقد تتبع ماركس تطور الرأسمالية من اجنحة الاقتصاد البضاعي الاولية ، من التبادل البسيط ، حتى اشكالها العليا ، حتى الانتاج الكبير ،

وان تجربة جميع البلدان الرأسمالية ، القديمة منها والجديدة ، تبين بوضوح صحة مذهب ماركس هذا لعدد من العمال يتراوح سنّة بعد سنّة .

لقد انتصرت الرأسمالية في العالم بأسره ، ولكن هذا الانتصار ليس سوى عتبة انتصار العمل على الرأسمال .

٣

عندما دُكِّنَ النّظام الاقتصادي ، ورأى المجتمع الرأسمالي «العر» النور ، تبيّن فوراً أن هذه الحرية تعني نظاماً جديداً لاضطهاد الشغيلة واستثمارهم . وفوراً أخذت تنبثق شتى المذاهب الاشتراكية ، العكسار لهذا الاضطهاد واحتياجاً عليه . ولكن الاشتراكية البدائية كانت اشتراكية طوبوية . فقد كانت تنتقد المجتمع الرأسمالي ، وتشجبه ، وتلعنـه ؛ وتعلم بازالتـه وتخيل نظاماً أفضل ؛ وتسعى إلى اقتناع الأغنياءـ بـانـ الاستثمار منافـ للـأخلاقـ .

ولكن الاشتراكية الطوبوية لم تكن بـقادـرةـ علىـ الاـشارـةـ إـلـىـ مـخـرـجـ حـقـيقـيـ . وكانت عاجزةـ عنـ تـفسـيرـ طـبـيـعـةـ العـبـودـيـةـ المـأـجـورـةـ فيـ ظـلـ الرـاسـمـالـيـةـ ، وـعـنـ اـكـشـافـ قـوـانـينـ تـطـورـ الرـاسـمـالـيـةـ ، وـعـنـ اـيجـادـ القـوـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ الـقـادـرةـ عـلـىـ انـ تـغـدوـ خـالـقـةـ المـجـتمـعـ الجـدـيدـ .

غيرـ انـ الثـورـاتـ العـاصـفـةـ التـيـ رـافـقتـ سـقوـطـ الـاقـطـاعـيـةـ ، الـقـنـانـةـ ، فيـ كـلـ مـكـانـ مـنـ اـوـرـوـبـاـ وـخـاصـةـ فـيـ فـرـنـسـاـ ، كـانـتـ تـكـشفـ بـوضـوحـ متـزاـيدـ عـلـىـ الدـوـامـ عـنـ اـسـاسـ كـلـ التـطـورـ وـقـوـتـهـ المـحـركـةـ وـهـوـ الـصـراعـ بـيـنـ الطـبقـاتـ .

فـماـ مـنـ نـصـ لـقضـيـةـ العـرـيـةـ السـيـاسـيـةـ عـلـىـ طـبـقـةـ الـاقـطـاعـيـنـ تمـ اـحـراـزـهـ دـوـنـ مـقاـمـةـ مـسـعـورـةـ . وـمـاـ مـنـ بلدـ رـاسـمـالـيـ قـامـ اـسـاسـ

حر ، ديموقراطي ، الى هذا الحد او ذاك ، دون قيام نضال حتى الموت بين مختلف طبقات المجتمع الرأسمالي .

ومن عبرية ماركس ، انه كان اول من استخلص هذا الاستنتاج الذي ينطوي عليه التاريخ العالمي وطبقه بصورة منسجمة الى النهاية . وهذا الاستنتاج هو مذهب النضال الظبيقي .

لقد كان الناس وسيظلون ابداً ، في حقل السياسة ، ضحايا ساذجة يخدعهم الآخرون ويخدعون انفسهم ، ما لم يتعلموا استشاف مصالح هذه الطبقات او تلك وراء التعبير والبيانات والوعود الاخلاقية والدينية والسياسية والاجتماعية . فان انصار الاصلاحات والتحسينات سيكتون ابداً ضحية لخداع المدافعين عن الاوضاع القديمة طالما لم يدرکوا ان كل مؤسسة قديمة مهما بدت بربوية ومتغيرة تبقى قيد الوجود يقوة هذه الطبقات السائدة او تلك . فلكي نسحق مقاومة هذه الطبقات ليس ثمة سوى وسيلة واحدة هي ان نجد في نفس المجتمع الذي يحيط بنا ونشق وننظم القوى التي تستطيع - وينبغي عليها بعكم وضعها الاجتماعي - ان تغدو القوة القادرة على تكليس القديم وخلق الجديد .

فقط مادية ماركس الفلسفية دلت البروليتاريا على الطريق الواجب سلوكه للخروج من العبودية الفكرية التي كانت تتخبط فيها حتى ذاك جميع الطبقات المظلومة . فقط نظرية ماركس الاقتصادية او ضحت وضع البروليتاريا الحقيقي في مجلس النظام الرأسمالي .

ان المنظمات البروليتاريا المستقلة تتکاثر في العالم باسره من اميركا الى اليابان ومن اسوج الى افريقيا الجنوبية . والبروليتاريا تتعلم وتتربي في غمرة نضالها الظبيقي وتتحرر من اوهام المجتمع البرجوازي وتزداد تلامعاً على الدوام وتتعلم تقدير مدى نجاحاتها وترتبط قواها وتنمو بشكل لا مرد له .

كارل ماركس

(موجز عن تاريخ حياة كارل ماركس ،
يتضمن عرضاً للماركسية)

مقدمة

المقالة عن كارل ماركس التي تصدر الآن بطبعه على حدة كتبتها في عام ١٩١٣ (بقدر ما اتذكر) من أجل معجم غرانات . وقد ورد في نهاية المقالة دليل مفصل نسبياً للمراجع عن ماركس ، وأغلبها من المراجع الأجنبية . ولكن هذا الملحق لا يرد في هذه الطبعة . ثم ان هيئة تحرير المعجم عمدت من جهتها ، لاعتبارات تتعلق بالرقابة ، الى نبذ خاتمة المقالة عن ماركس المكرسة لعرض تكتيكي الثوري . ومن المؤسف انه لا يتسعني لي ان اعيد هنا طبع هذه الخاتمة لان المسودة بقيت في مكان ما مع اوراقي في كرواكوفيا او في سويسرا انما اتذكر فقط انني اوردت في خاتمة المقالة ، فيما اوردته ، ذلك المقطع من رسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ١٦ - ٤ - ١٨٥٦ ، الذي كتب فيه ماركس يقول : «سيتوقف كل شيء في المانيا على مكانية دعم الثورة البروليتارية بطبعه ما جديدة لعرب الفلاحين ، عندئذ يكون كل شيء على ما يرام» . وهذا ما لم يفهمه منذ عام ١٩٠٥ اصحابنا المناشفة الذين انزلقوا الان الى خيانة الاشتراكية خيانة تامة ، الى الانتقال الى مصف البرجوازية .

ن . لينين

موسكو ، ١٤ - ٥ - ١٩١٨

ولد كارل ماركس في الخامس من أيار (مايو) سنة ١٨١٨ في مدينة ترير (بروسيا المريناية) . وكان أبوه محامياً وكان يهودياً ، ثم اعتنق البروتستانتية في سنة ١٨٢٤ . ولم تكن عائلة ماركس الميسورة والمثقفة عائلة ثورية . وبعد أن أتم ماركس دراسته الثانوية في مدينة ترير ، دخل جامعة بون ، ثم جامعة برلين ، فدرس الحقوق ، وبنوع خاص التاريخ والفلسفة . وفي سنة ١٨٤١ انجز دراسته بتقديم اطروحته الجامعية حول فلسفة أبيقور . وما زال ماركس آنذاك متمسكاً بآراء هيغل المثالية . وفي برلين انضم إلى حلقة «الهيغليين اليساريين» (برونو باور وغيره) الذين كانوا محاولون أن يستخلصوا من فلسفة هيغل استنتاجات إلحادية وثورية .

وعندما تخرج ماركس من الجامعة أقام في مدينة بون حيث كان يأمل بالحصول على منصب أستاذ في الجامعة . ولكن السياسة الرجعية التي كانت تسلكها الحكومة ، إذ أقصت ، عام ١٨٣٢ ، لودفيغ فورباخ عن منصبه كأستاذ ، وعادت في سنة ١٨٣٦ ، فرفضت من جديد السماح له بالعمل في الجامعة ، ومنعت ، في سنة ١٨٤١ ، الأستاذ الشاب برونو باور من القاء محاضرات في بون ، هذه السياسة الرجعية اضطررت ماركس إلى العدول عن النشاط الجامعي . في ذلك الوقت ، كان تطور أفكار الهيغليمة اليسارية يجري سريعاً جداً في المانيا . وكان لودفيغ فورباخ قد أخذ ، منذ ١٨٣٦ على الخصوص ،

يوجه النقد الى علم اللاهوت ويتجه نحو المادية التي احرزت الغلبة نهائياً عنده في سنة ١٨٤١ (كتاب «جوهر المسيحية»)؛ وفي سنة ١٨٤٣ ظهر كتابه «الاحكام الاساسية لفلسفة المستقبل». لقد كتب انجلس فيما بعد حول هذين المؤلفين لفوربان فقال: «كان يجب ان يكون الانسان قد تحسس بنفسه الاثر التحريري» لهذين الكتابين. «فلقد اصبحنا نعن» (اي الهيغليين اليساريين بمن فيهم ماركس) «دفعه واحدة ، من اتباع فوربان» (٢). وفي ذلك الوقت ، اسس البرجوازيون الراديكاليون في رينانيا ، الذين كان لهم بعض نقاط التقاء مع الهيغليين اليساريين ، جريدة معارضة في مدينة كولونيا ، باسم «الجريدة الرينانية» (التي اخذت تصدر ابتداء من اول كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٢). وقد دعى ماركس ، وبرونو باور الى العمل محررين اساسيين فيها ، وفي تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٤٢ ، اصبح ماركس رئيس تحريرها ، فانتقل من مدينة بون الى كولونيا . وتحت ادارة ماركس ، اخذ اتجاه الجريدة الديموقراطي الشوري يزداد وضوحاً ، فعمدت الحكومة في اول الامر الى اخضاع الجريدة لرقابة ثنائية بل ثلاثة ثم امرت بتعطيلها تماماً ابتداء من اول كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٤٣ . فاضطر ماركس حينئذ للتخلي عن مركزه في تحرير الجريدة ، ولكن خروج ماركس لم ينقذ الجريدة اذ انها منعت من الصدور في آذار (مارس) سنة ١٨٤٣ . ومن اهم المقالات التي نشرها ماركس في «الجريدة الرينانية» ، فضلاً عن المقالات المشار إليها فيما بعد (راجعوا دليل المراجع (٣)) ، يشير انجلس الى مقال حول اوضاع الفلاحين صانعي الخمور في وادي الموزيل (٤) . وقد ادرك ماركس من نشاطه الصحفي ان معلوماته في الاقتصاد السياسي غير كافية فاندفع بحماسة الى دراسته .

في سنة ١٨٤٣ تزوج ماركس في كريزنباخ من جيني فون ويستفالن ، صديقة طفولته التي خطبها وهو ما يزال طالباً . كانت زوجته تتعدّر من عائلة نبيلة رجعية بروسية . وكان اخو جيني فون ويستفالن الاكبر وزيراً للداخلية في بروسيا في مرحلة كانت من اشد المراحل اغراقاً في الرجعية ، وذلك بين ١٨٥٠ و ١٨٥٨ . وفي خريف ١٨٤٣ ، انتقل ماركس الى باريس ليصدر في الخارج مجلة راديكالية مع ارنولد روغه (عاش ارنولد روغه من سنة ١٨٠٢ الى

سنة ١٨٨٠ . وكان هيغلياً يساريّاً . وسجين من ١٨٢٥ إلى ١٨٣٠ ، وهاجر بعد سنة ١٨٤٨ . وبعد ١٨٦٦ - ١٨٧٠ ، أصبح من أنصار بيسارك) . ولكن لم يصدر من هذه المجلة المسماة «الحولية الالمانية الفرنسية» سوى العدد الاول اذ اضطرت للتوقف بسبب الصعوبات الناجمة عن توزيعها بصورة سرية في المانيا وبسبب الخلافات مع روجه . وفي المقالات التي نشرتها هذه المجلة ، يرى ماركس ثوريًا ينادي «بانتقاد لا هوادة فيه لكل ما هو كائن» بما في ذلك «انتقاد الاسلحة» (٥) ويتجه الى الجماهير والبروليتاريا .

في ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٤٤ ، جاء فريديريك انجلس الى باريس لقضاء بضعة ايام فيها فاصبح منه ذلك العين الصديق العزيز لماركس . وقد اسهم كلاهما باشد العماسة في الحياة المحمومة للجماعات الثورية التي كانت آنذاك في باريس (وكانت تولى هناك اهمية خاصة لمذهب برودون ، وقد صفت ماركس حساب هذا المذهب تصفية قاطعة في كتابه «بوس الفلسفة» الذي صدر عام ١٨٤٨) ، وصاغا ، في خمسة نصائحها العاد ضد مختلف نظريات الاشتراكية البرجوازية الصغيرة ، نظرية وناكتيك الاشتراكية البروليتارية الثورية ، او الشيوعية (الماركسيّة) . راجع ادناه مؤلفات ماركس في هذه المرحلة الممتدة من ١٨٤٤ الى ١٨٤٨ في دليل المراجع . وفي سنة ١٨٤٥ طرد ماركس من باريس لكونه ثوريًا خطراً ، بناء على طلب الحكومة البروسية . فجاء الى بروكسل واقام فيها . وفي ربيع ١٨٤٨ اتنى ماركس وانجلس الى جمعية سرية للدعائية هي «عصبة الشيوعيين» (٦) وقاما بقتطع بارز في المؤتمر الثاني لهذه العصبة المنعقدة في لندن ، في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٤٧ . وبينما على تكليف المؤتمر وضع ماركس وانجلس «بيان العزب الشيوعي» المشهور الذي نشر في شباط (فبراير) سنة ١٨٤٨ . ان هذا الكتاب يعرض بوضوح ودقة عقريين المفهوم الجديد للعالم ، يعرض العادلة المتماستة التي تشمل ايضاً ميدان الحياة الاجتماعية ، والديالكتيك يوصيه المذهب الأوسع والأعمق للتطور ، ونظرية النضال الظبيقي والدور الثوري الذي تضطلع به في التاريخ العالمي البروليتاريا ، خالقة المجتمع الجديد ، المجتمع الشيوعي .

وعندما انفجرت ثورة شباط (فبراير) ١٨٤٨ (٧) ، طرد ماركس من بلجيكا فعاد الى باريس ليتركها بعد ثورة آذار (مارس) (٨) ويعود الى المانيا ليقيم في مدينة كولونيا ، حيث صدرت ، من اول حزيران (يونيو) ١٨٤٨ الى ١٩ ايار (مايو) سنة ١٨٤٩ «الجريدة الرينانية الجديدة» التي كان ماركس رئيس تحريرها . وقد اثبتت مجري الاحداث الثورية في ١٨٤٩ - ١٨٤٨ كما اثبتت فيما بعد جميع العركات البروليتارية والديمقراطية في جميع بلدان العالم صحة النظرية الجديدة على نحو ساطع . في بادئ الأمر ، اقدمت الحركة الطافرة المعادية للثورة على احالة ماركس الى القضاء (فبراي في ٩ شباط (فبراير) سنة ١٨٤٩) ثم نفته من المانيا (في ١٦ ايار (مايو) ١٨٤٩) . فانتقل اولاً الى باريس ، حيث طرد منها ايضاً بعد ظاهرة ١٣ حزيران (يونيو) ١٨٤٩ (٩) . ثم ذهب الى لندن حيث عاش حتى آخر أيامه .

ان ظروف حياة المهاجر هذه كانت مضطربة الى اقصى حد كما يتبيّن بوضوح شديد من مراسلات ماركس وانجلس (المنشورة سنة ١٩١٣) (١٠) ؛ فقد عاش ماركس وعائلته تحت وطأة الفقر المدقع ، ولو لا المساعدة المالية الدائمة المخلصة التي كان يقدمها له انجلس ، لما استحال على ماركس انجاز كتاب «رأس المال» وحسب ، بل لكان قد هلك حتماً من البؤس . ومن جهة اخرى كانت المذاهب والتيارات السائدة في الاشتراكية البرجوازية الصغيرة والاشراكية غير البروليتارية بوجه عام تضطر ماركس الى خوض نضال دائم لا هوادة فيه ، كما كانت تضطره احياناً للرد على اكثر التهجمات الشخصية جنوناً وغباؤه (Herr Vogt) (١١) . وقد تحاشى ماركس حلقات المهاجرين وانكب على ان يصوغ ، في جملة المؤلفات التاريخية ، (راجع دليل المراجع) نظريته المادية باذلاً جهده لدراسة الاقتصاد السياسي على الاخص . وقد نفع ماركس في هذا العلم روحًا ثورية (راجعوا ادناه مذهب ماركس) في مؤلفيه «مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي» (١٨٥٩) ، و«رأس المال» (المجلد الاول ، ١٨٦٧) .

* «السيد فوگت» . الناشر .

ثم جاءت مرحلة انتعاش النشاط في الحركات الديموقراطية في اواخر العقد السادس وفي العقد السابع فدفعت ماركس من جديد الى النشاط العملي . ففي سنة ١٨٦٤ (٢٨ ايلول-سبتمبر) تأسست في لندن الاممية الاولى المشهورة ، «جمعية الشغيلة العالمية» . وكان ماركس روجها ، كما كان ايضاً واضع «ندائها» الاول (١٢) وعدد كبير من المقررات والتصريحات والبيانات . ان ماركس ، بجمعه شمل الحركة العمالية في مختلف البلدان ، وسعيه الى توجيه شتى اشكال الاشتراكية غير البروليتارية السابقة للماركسيّة (مازيني ، برودون ، ياكونين ، التريديونيونية الليبرالية الانجليزية ، الانحرافات اللاسالية اليهينية في المانيا ، الخ ..) في طريق النشاط المشترك ، وكفاحه نظريات جميع هذه الشعوب والمدارس الصغيرة ، قد صاغ تكتيكًا وحيداً لنضال الطبقة العاملة البروليتاري في مختلف البلدان . وبعد سقوط كومونة باريس (١٨٧١) (١٣) التي قدّرها ماركس تقديرًا عميقاً ، صائبًا ، باهرًا ، فعالًا ، ثوريًا («العرب الاهلية في فرنسا» ، ١٨٧١) ، وبعد الانشقاق الذي أحدثه الباكوينيون (١٤) في الاممية (١٥) ، لم يعد باستطاعة هذه الاممية ان تعيش في اوروبا ، فاللحظة ماركس ، عقب مؤتمر ١٨٧٢ في لاهاي ، على انتقال المجلس العام للاممية الى نيويورك . وهكذا انجزت الاممية الاولى مهمتها التاريخية مفسحة المجال لمرحلة من النمو في الحركة العمالية في جميع البلدان نمواً اقوى واشد مما مضى الى ما لا قياس له ، - مرحلة تطور هذه الحركة من حيث الاسباب ، مرحلة تأليف احزاب عمالية اشتراكية جماهيرية ، في نطاق كل من الدول القومية .

وما بذلك ماركس من نشاط شديد في الاممية ، وما قام به من اعمال نظرية يزيد من الشدة ايضاً ، قد زلزل صحته زلزلة نهائية . وقد واصل وضع الاقتصاد السياسي على اسس جديدة ، واتمام كتاب «رأس المال» جاماً عدداً ضخماً من المستندات الجديدة ، ودارساً عدة لغات (اللغة الروسية ، مثلاً) ، ولكن المرض اقعده عن انجاز كتاب «رأس المال» .

وفي الثاني من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٨١ ماتت زوجته . وفي ١٤ آذار (مارس) سنة ١٨٨٣ رقد ماركس في كرسية

رقاداً أخيراً هادئاً ، ودفن مع زوجته في مقبرة هايفيت في لندن . وقد مات لماركس عدة ابناء وما يزالون أطفالاً ، في لندن حين كانت عائلته تعاني بؤساً مدقعاً . وكانت بناته الثلاث متزوجات من اشتراكيين من انجلترا وفرنسا ، وهن : ايليونور ايفلينغ ولورا لافارغ وجيني لونغه ، وابن هذه الاخيرة عضو في الحزب الاشتراكي الفرنسي .

مذهب ماركس

الماركسيّة هي نظام نظرات ومذهب ماركس . لقد تابع ماركس واثم ، على نحو عبقرى ، التيارات الفكرية الرئيسية الثلاثة في القرن التاسع عشر ، والتي تعزى الى البلدان الثلاثة الاكثر تقدماً في العالم : الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ، والاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي ، والاشتراكية الفرنسية المرتبطة بالتعاليم الثورية الفرنسية يوجها عام . ما تتصرف به نظرات ماركس من منطق رائع وانسجام تام انما يعترف به حتى خصومه ؛ وتلك النظارات تتألف بمجموعها المادية المعاصرة ، والاشتراكية العلمية المعاصرة ، بوصفها نظرية العركة العمالية وبرنامجهما في جميع البلدان المتعددة في العالم ؛ وكل هذا يعملنا على أن نقدم لعرض المضمون الرئيسي للماركسيّة اي مذهب ماركس الاقتصادي ، بلمنحة موجزة عن مفهومه للعالم يوجها عام .

المادية الفلسفية

كان ماركس قد اصبح مادياً منذ ١٨٤٤ - ١٨٤٥ ، اي في الفترة التي تكونت فيها افكاره : لقد كان ، يوجها خاص ، ممن اتبع فوربان . ولم يقر ماركس بما عند فوربان من نقاط ضعف ، حتى فيما بعد ، الا من حيث عدم الكفاية في منطق ماديته وشمولها . لقد كان يرى الشأن التاريخي العالمي لفوربان ، الذي «شغل دهراً» ، في قطبيته النهائية مع مثالية هيغل بالضبط ، ومناداته بالمادية ، هذه المادية التي «لم تكن في القرن الثامن عشر ، وخصوصاً في فرنسا ، نضالاً ضد المؤسسات السياسية الراهنة» ؛ وكذلك ضد

الدين واللاهوت ، وحسب ، بل ايضاً . . . ضد كل ميتافيزيائية» (بمعنى «التأملات المخمرة» خلافاً «للفلسفة الصافية») (كتاب «العائلة المقدسة» في «التركة الادبية») . وكتب ماركس ايضاً : «يرى هيغل ان عملية التفكير ، هذه العملية التي يحوالها حتى تحت اسم الفكرة الى ذات مستقل ، هي «الديميورج» (الغالق ، الصانع) للواقع . . . اما انا فاني ارى العكس : ان المثالي ليس سوى المادي منقولاً الى دماغ الانسان ومحولاً فيه» («رأس المال» ، المجلد الاول . تذليل للطبعة الثانية) . ووفقاً تماماً لفلسفة ماركس المادية هذه ، كتب فريدریک انجلس ، عند شرحه لها في كتابه «ضد دوهريينغ» (راجعوا) - وهذا الكتاب قد اطلع عليه ماركس قبل طباعته - «. . . ان وحدة العالم ليست في كيانه ، بل في ماديته . وهذه المادية قد اثبتتها . . . تطور طويل وشاق للفلسفة وعلوم الطبيعة . . . الحركة شكل وجود المادة . لم يوجد قط ، ولا يمكن ان يوجد ابداً ، في اي مكان ، مادة بدون حركة ولا حركة بدون مادة . . . واذا تسألنا . . . عن ماهية الفكر والمعرفة ، وعن مصدرهما ، وجدنا انهما نتاج الدماغ الانساني ، وان الانسان نفسه هو نتاج الطبيعة الذي نما وتطور في محيط طبيعي معين ، ومع هذا المحيط . واذا ذاك يغدو من البداهة ان نتاج دماغ الانسان الذي هو ايضاً ، عند آخر تحليل ، نتاج للطبيعة ، ليس في تناقض بل في انسجام مع سائر الطبيعة» . «لقد كان هيغل مثالياً ، اي ان افكار دماغنا لم تكن ، في نظره ، انعكاسات (في الاصل : *Abbilder* ، صور ، واحياناً يستعمل انجلس الكلمة «نسخ») مجردة ، الى هذا الحد او ذاك ، عن الاشياء والتطورات الواقعية ، بل على العكس من ذلك ، فالأشياء وتطورها كانت في نظر هيغل صوراً تعكس فكرة ما كانت موجودة في مكان ما قبل وجود العالم» . وقد كتب انجلس في مؤلفه «لودفيغ فوربانغ» ، الذي عرض فيه افكاره وافكار ماركس حول فلسفة القيمة حول هيغل وفوربانغ والمفهوم المادي عن التاريخ التي وضعها بالتعاون مع ماركس في ١٨٤٤ - ١٨٤٥ يقول : «ان المسألة الاساسية العظمى في كل فلسفة ، ولا سيما الفلسفة الحديثة ، هي مسألة علاقة الفكر بالكائن ، او علاقة العقل بالطبيعة . . . ايها

يسبق الآخر ، العقل ام الطبيعة . . . وكان الفلاسفة تبعاً لاجاتتهم على هذا السؤال قد انقسموا الى معسكرين كبيرين : فاولئك الذين كانوا يؤكدون اولوية العقل على الطبيعة ويقبلون على هذا النحو ، في آخر تحليل ، بخلق العالم ، ايما كان نوع هذا الخلق . . . التفوا معسكر المثالية . والآخرون ، الذين كانوا يعتبرون الطبيعة المنشأ الاساسي ، انتما الى مختلف مدارس المادية» . وكل استعمال آخر لمفهومي المثالية والمادية (الفلسفتين) يؤدي حتماً الى البليبلة . وقد نبذ ماركس نبذة قاطعاً ، ليس فقط المثالية المقرونة ابداً الى الدين ، بشكل او باخر ، بل نبذ ايضاً وجهة نظر هيوم وكانت المنتشرة خصوصاً في أيامنا هذه ، الادارية ، والانتقادية ، والوضعية ، باشكالها المختلفة – اذ انه كان يعتبر هذه الانواع من الفلسفة بمثابة تنازل «رجعي» امام المثالية وفي احسن الاحوال بمثابة «اسلوب جبان يقبل المادية في السر وينكرها في العلن» (١٦) . وبصدق هذا ، راجعوا ، فضلاً عن مؤلفات انجلس وماركس المذكورة آنفاً ، رسالة ماركس الى انجلس المؤرخة في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٦٦ ، التي يتحدث فيها عن محاضرة العالم الطبيعي الشهير توماس هكسلي ، ويلاحظ فيها ان هذا العالم قد ظهر «مادياً اكثر» من العادة ، واعترف باننا ما دمنا «نلاحظ ونفكر فعلاً» ، فلا نستطيع ابداً ان نبتعد عن المادية» ، ثم يلومه ماركس على انه «ترك ثغرة» للادارية ولنظرية هيوم . ومن المهم خصوصاً التشبيه الى رأي ماركس حول العلاقة بين الحرية والضرورة : «ان الضرورة عبء ما دامت غير مدركة . الحرية هي ادراك الضرورة» (انجلس . «ضد دوهرينج») وهذا يعني ، اذن ، الاعتزاف بخضوع الطبيعة للقوانين الموضوعية ، وتحول الضرورة «الديالكتيكي الى حرية (كتحول «الشيء بذاته» وغير المدرك ، ولكنه قابل للادراك ، الى «شيء لنا» ، تحول «جوهر الاشياء» الى «ظاهرات») . ان العيب الاساسي في المادية «القديمة» وفي جملتها مادية فوريان (وبالاحرى المادية «المبتدلة» لبوختر وفوغت وموليشوت) هو في نظر ماركس وانجلس : اولاً – ان هذه المادية كانت «ميكانيكية في الغالب» ولم تكن تأخذ بعين الاعتبار آخر ما توصلت اليه الكيمياء والبيولوجيا (ومن المناسب ان نضيف اليهما في أيامنا هذه النظرية الكهربائية للمادة) ،

ثانياً - ان المادية القديمة لم تكن تاريخية ولا ديناليكتيكية (كانت ميتافيزيائية بمعنى أنها منافية للديناليكتيك) ولم تكن تطبق فوجهة نظر التطور من جميع نواحيها على نحو منسجم الى النهاية ؛ ثالثاً - أنها تفهم «جوهر الانسان» على نحو تجويدي لا بمثابة «مجموعة العلاقات الاجتماعية كافة» (التي يحددها التاريخ على نحو ملموس) . وهكذا لم تقم الا «بتفسير» العالم ، مع ان المقصود كان «تغييره» ، وبتعبير آخر ، ان المادية القديمة لم تكن تدرك شأن «النشاط العملي الشوري» .

الديناليكتيك

لقد كان ماركس وأنجلس يريان ديناليكتيك هيغل ، باعتباره أكثر مذاهب التطور شمولًا ووفرها مضموناً وأشدّها عمقاً ، اثمن اكتساب حققته الفلسفة الكلاسيكية الألمانية . وكانا يعتبران كل صيغة أخرى لمبدأ التطور وحيدة الجانب ، فقيرة المضمون ، تشوه وتفسد السير الواقعي للتطور (الذي غالباً ما تصعبه قفزات وكوارث وثورات) في الطبيعة والمجتمع . «الذى كلينا ، ماركس وانا ، كنا وحدنا تقريراً اللذين وضعنا نصب اعينهما همة انقاد الديناليكتيك الزاعي» (عن طريق ذلك المثالىة بما فيها الهيكلية) «وتقله الى صعيد المفهوم المادى عن الطبيعة» . «ان الطبيعة هي التأكيد على صحة الديناليكتيك ، وإن العلوم الطبيعية الخديجة بالضبط تبين ان هذا التأكيد غنى للغاية» (كتب هذا قبل اكتشاف الراديو وأالاكترونات وتحول العناصر ، الخ . !) «وانه يمكن كل يوم مفظيات لا تحصى ويلبرهن على ان الأمور في الطبيعة تسرين ، في آخر التعليسل ، على النحو الديناليكتيكي ، لا على النحو الميتافيزيائي» (١٧) ،

وقال أنجلس أيضاً : «ان الفكرة الأساسية الكبيرى التي تقول بان العالم لا يتألف من أشياء جاهزة ، مكتملة بل هو مجموعة من التحليلات يطرأ فيها على الأشياء التي تبدو في الظاهر ثابتة ، وكذلك على العكساتها الذهنية في دماغنا ، اي الأفكار ، تغير مستمر من الصيغورة والفناء ، ان هذه الفكرة الأساسية الكبيرى قد لفقت على نحو عميق ، مثلذ هيغل ، في الأدراك العام ، حتى انه يكاد لا يوجد من يعارضها في شكلها العام هذا ، ولكن الاعتراف بهذه الفكرة قوله :

شيء ، وتطبيقاتها في الواقع ، في كل حال من الاحوال وفي كل ميدان من ميادين البحث ، شيء آخر» . «ليس هناك من أمر نهائى ، مطلق ، مقدس بنظر الفلسفة الديالكتيكية ، فهي ترى على كل شيء وفي كل شيء ، خاتم الولاك المحتوم ، وليس ثمة شيء قادر على الصمود في وجهها غير الحركة التي لا تنتقطع ، حركة الصيرورة والفناء ، حركة التصاعد ابداً دون توقف من الادنى الى الاعلى . وهذه الفلسفة نفسها ليست الا مجرد انعكاس هذه الحركة في الدماغ المفكرة» . فالديالكتيك هو ، اذن ، في نظر ماركس ، «علم القرائن العامة لحركة العالم الخارجي والفكر البشري على السواء» (١٨) .

ان هذا العائب الثوري لفلسفة هيغل . هو ما تبناه ماركس ، وطوره . فالعادية الديالكتيكية «ليست بحاجة الى فلسفة تعلو على العلوم الاخرى» . وإن ما يبقى من الفلسفة القديمة هو «التعاليم عن التفكير وقوانيئنه - المنطق الشكلي ؛ والديالكتيك» (١٩) . غير ان الديالكتيك حسب مفهوم ماركس ، كما هو حسب مفهوم هيغل ، يشمل ما يسمى اليوم بـ *gnoséologie* ، التي يجب عليها ان تعالج موضوعها من وجهة نظر تاريخية ايضاً وذلك بـ *بان* قدرس و *تعمم* مثنا المعرفة وتطورها ، اي الانتقال من *اللامعرفة* الى *المعرفة* .

في ايامنا ، دخلت فكرة النمو ، فكرة التطور ، على نحو كلية تقريباً ، في الوعي الاجتماعي ، ولكن عن غير طريق فلسفة هيغل . بيد ان هذه الفكرة ، كما صاغها ماركس وانجلس ، بالاستناد الى هيغل ، هي اكثر شمولاً واغنى جداً في محتواها من الفكرة الشائعة عن التطور . تطور يبدو كأنه يعود ويمر بمراحل مقطوعة سابقاً ولكن على نحو لولبي ، اذا صبح التعبير ، لا على نحو خط مستقيم ؛ - تطور بقفزات وكوارث وثورات ؛ - «انقطاعات في التدرج» ؛ تحول الكمية الى كيفية ؛ - بواسطه داخلية على التطور يبثيرها التضاد والتصادم بين القوى والاتجاهات المتباعدة التي تؤثر في جسم معين ، او تفعل فعلها في حدود ظاهرة معينة ، او في قلب مجتمع معين ؛ - تبعية متبادلة وصلة وثيقة ، لا يمكن فصلها ، بين جميع جوانب كل ظاهرة (والتاريخ يكشف دائمأ عن جوانب جديدة

وتجديده) ، صلة تحدد مجرى الحركة العالمي الواحد ، الطبيعي ، - هذه هي بعض سمات الديالكتيك بوصفه مذهباً للتطور اغنى مضموناً (من المذهب الشائع) . (قارنوا : رسالة ماركس الى انجلس بتاريخ ٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٦٨ حيث يهزأ من «سفسيطات» شتىن «المشدودة» ، التي من العمامقة خلطها بالديالكتيك المادي .)

المفهوم المادي للتاريخ

كان ادراك ماركس لخلو المادية القديمة من المنطق ، وعدم اكتمالها ، وطابعها الوحيد الجانبي قد آل به الى الاقتناع بضرورة «جعل علم المجتمع منسجماً مع الاساس المادي ، واعادة بنائه وفقاً لهذا الاساس» (٢٠) . واذا كانت المادية بوجه عام ، تفسر الوعي بالوجود ، وليس بالعكس ، فهي تتطلب عند تطبيقها على الحياة الاجتماعية للإنسانية ، تفسير الوعي الاجتماعي بالوجود الاجتماعي . يقول ماركس : «ان التكنولوجية تبرز علاقة الإنسان النشيطة بالطبيعة ، اي العملية المباشرة لانتاج حياته ؛ وبالتالي ، الظروف الاجتماعية لحياته والتصورات الفكرية التي تنجم عن هذه الظروف» («رأس المال» ، المجلد الاول) (٢١) . وقد اعطى ماركس صيغة مكتملة للموضوعات الأساسية للمادية في تطبيقها على المجتمع البشري وعلى تاريخه ، وذلك في مقدمة كتابه «مساهمة في تقد الاقتصاد السياسي» ! قال :

«ان الناس ، اثناء الانتاج الاجتماعي لحياتهم ، يقيمون فيما بينهم علاقات معينة ضرورية ، مستقلة عن ارادتهم . وتطابق علاقات الانتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية .

ومجموع علاقات الانتاج هذه يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع ، اي الاساس الواقعي الذي يقوم عليه بناء فوقي حقوقي وسياسي والذي تطابقه اشكال معينة من الوعي الاجتماعي . ان اسلوب انتاج الحياة المادية يشترط مجرى الحياة الاجتماعية والسياسي والروحي بصورة عامة . فليس وعي الناس هو الذي يعين معيشتهم بل على العكس من ذلك ، معيشتهم الاجتماعية هي التي ثعين وعيهم . وعندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة من تطورها ، تدخل في تناقض

مع علاقات الانتاج الموجزة او مع علاقات الملكية - وليس هذه سوى التعبير الحقوقي لتلك - التي كانت الى ذلك العين تتطوىء ضمنها . فبعد ما كانت هذه العلاقات اشكالاً لتطور القوى المنتجة ، تصبح قيوداً لهذه القوى . وعندئذ ينفتح عهد الثورة الاجتماعية . ومع تغير الاساس الاقتصادي يحدث انقلاب في كل البناء الفوقي الهائل ، بهذا الحد او ذاك من السرعة . وعند دراسة هذه الانقلابات ينبغي دائمـاً التمييز بين الانقلاب المادي لظروف الانتاج الاقتصادية - هذا الانقلاب الذي يحدد بدقة العلوم الطبيعية - وبين الاشكال الحقوقية ، والسياسية ، والدينية ، والفنية والفلسفية ، او بكلمة مختصرة ، الاشكال الايديولوجية التي يتصور فيها الناس هذا النزاع ، ويكافحونه .

فكما انه لا يمكن الحكم على فرد وفقاً للفكرة التي لديه عن نفسه ، كذلك لا يمكن الحكم على عهد انقلاب كهذا ، وفقاً لوعيه . في ينبغي بالعكس تفسير هذا الوعي انطلاقاً من تناقضات الحياة المادية ، من النزاع القائم بين قوى المجتمع المنتجة وعلاقات الانتاج . . . «ان اساليب الانتاج ، الاسلوب الاسيوى ، والقديم ، والاقطاعي ، والبرجوازى المعاصر ، مرسومة بخطوطها الكبرى ، يمكن اعتبارها بمثابة عهود متصاعدة من التكون الاجتماعى الاقتصادى . (راجعوا الصيغة الموجزة التي يعطيها ماركس في رسالته الى انجلس بتاريخ 7 تموز (يوليو) ١٨٦٦ : «نظريتنا حول تحديد تنظيم العمل بواسطة وسائل الانتاج» .)

ان اكتشاف المفهوم المادى عن التاريخ ، او بتعبير ادق ، تطبيق وتوسيع المادىة بدار وانسجام حتى تشمل ميدان الظواهر الاجتماعية ، قد قضى على عيدين رئيسين في النظريات التاريخية السابقة . اولاً : لم تكن هذه النظريات تأخذ بعين الاعتبار ، في احسن الحالات ، غير الدوافع الفكرية لنشاط الناس التاريخي ، دون ان تبحث عما يولد هذه الدوافع ، دون ان تستشف اي قانون موضوعي في تطور نظام العلاقات الاجتماعية ، دون ان ترى جذور هذه العلاقات في درجة تطور الانتاج المادى ؛ ثانياً : كانت النظريات السابقة تهمل ، على وجه الضبط ، نشاطات جماهير السكان بينما مكنت المادىة التاريخية ، لاول مرة ، من دراسة الظروف الاجتماعية

لحياة الجماهير وتغيرات هذه الظروف بدقة العلوم الطبيعية والتاريخ . لقد كان «علم الاجتماع» وعلم التاريخ قبل ماركس يكذبان في احسن الحالات وقائم خام مجموعة كييفما اتفق ، ويعرضان بعض الجوانب من حركة تطور التاريخ . لقد دلت الماركسية على الطريق نحو دراسة واسعة شاملة لعملية نشوء تشکیلات المجتمع الاقتصادية وتطورها وانحطاطها ، وذلك بتحليلها يجعل النزعات المتناقضة وردها الى ظروف المعيشة والانتاج ، الواضحة المعالم ، لمختلف طبقات المجتمع ؛ وبابعادها اختيار مختلف الافكار «السائدة» او تأويلها على نحو ذاتي واعتباطي ؛ وبكتشفها عن جذور جميع الافكار ، وجميع النزعات المتباعدة دون استثناء في اوضاع القوى المنتجة المادية ؛ ان الناس هم صانعو تاريخهم ، ولكن ، ما الذي يحدد دوافعهم ، وخصوصاً ، دوافع الجماهير البشرية ؟ وما هو سبب تصدام الافكار والمطامح المتضادة ؟ وما هو مجموع هذه التصادمات في مجمل المجتمعات البشرية ، او ما هي الشروط الموضوعية لانتاج الحياة المادية ، تلك الشروط التي هي انسان كل نشاط الناس التاريخي ؟ وما هو قانون تطور هذه الشروط ؟ - ان ماركس قد اغار انتباذه لكل هذه المسائل ، ودل على طريق الدراسة العلمية للتاريخ بوصفه عملية واحدة تسير وفق قوانين معينة ، رغم كل تعدد جوانبها الهائل ، ورغم كل تناقضاتها .

النضال الظبيقي

من العلوم لدى الجميع انه في كل مجتمع تصدام مطامح البعض مع مطامح البعض الآخر ، وان الحياة الاجتماعية مليئة بالمتناقضات ، وان التاريخ يكشف لنا عن النضال الذي يقوم بين الشعوب والمجتمعات وداخل الشعوب والمجتمعات ايضاً ، كما انه يبين لنا تعاقب مراحل الثورة والرجعية ، مراحل السلم والحروب ، مراحل الركود والتقدم السريع او الانحطاط . ان الماركسية قد قدمت الخيط الوجّه الذي يتبع اكتشاف قانون موضوعي في هذا المنهى والتشوش الظاهر ، وتعني بهذا الخيط نظرية النضال الظبيقي . فقط دراسة

مجمل المطامع لدى جميع اعضاء المجتمع المعنى ، او عدد من المجتمعات ، تسمح بتحديد نتيجة هذه المطامع تحديداً علمياً . هذا مع العلم ان المطامع المتناقضة يولدتها تباين الاوضاع وظروف الحياة لدى الطبقات التي ينقسم اليها كل مجتمع .. يقول ماركس في «البيان الشيوعي» : «ان تاريخ جميع المجتمعات حتى يومنا هذا» (ثم يضيف انجلس فيما بعد : ما عدا المشاعية الابتدائية) «لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات . فالعر والعبد ، والنبيل والعامي ، والسيد الاقطاعي والقزن ، والمعلم والصانصع ، اي بالاختصار ، الماضطهدون والماضطهدون ، كانوا في تناحر دائم ، وكانت بينهم حرب مستمرة ، قارة ظاهرة وتارة مستترة ، حرب كانت تنتهي دائماًاما باعادة بناء كامل صرح المجتمع بطريقة ثورية ، واما بهلاك كل الطبقات المتصارعة ... اما المجتمع البرجوازي الحديث ، الذي خرج من احساء المجتمع الاقطاعي الهالك ، فانه لم يقض على التناقضات بين الطبقات ، بل اقام طبقات جديدة محل القديمة ، واوجد ظروفاً جديدة للاضطهاد واشكالاً جديدة للنضال بدلاً من القديمة . الا ان الذي يميز عصرنا الحاضر ، عصر البرجوازية ، هو انه جعل التناقضات الطبقية اكثر بساطة : فان المجتمع آخذ بالانقسام ، اكثر فاكثر ، الى معاشرين فسيعين متعددين ، الى طبقتين كبيرتين متواجهتين هما البرجوازية والبروليتاريا» . ومنذ الثورة الفرنسية الكبرى ، كشف تاريخ اوروبا في عدد من البلدان ، على نحو بدعي خاص ، عن هذا السبب الحقيقي للحوادث ، وهو نضال الطبقات . فمنذ عهد العودة (٢٢) ، ظهر في فرنسا عدد من المؤرخين (تييري ، وغيزو ، ومينيه ، وتيرير) لم يتمكنوا ، عند تعميم الحوادث ، الا ان يعترفوا بان النضال الظبي هو المفتاح الذي يتبع فهم كل تاريخ فرنسا . ثم ان العهد الحديث ، عهد انتصار البرجوازية التام ، عهد المؤسسات التمثيلية ، وحق الاقتراع الموسع (ان لم يكن العام) ، عهد الصحافة اليومية الزهيدة الثمن ، التي تتغلغل بين الجماهير الشع . ، عهد الجمعيات العمالية الجباررة التي تتسع اكثر فاكثر ، وجمعيات ارباب العمل الشع . ، هذا العهد قد اثبت بمزيد من الجلاء (ولو احياناً على نحو وحيد الجانب و«سلمي» و«دستوري») ان النضال الظبي هو المحرك للحوادث . ان المقطع التالي من «البيان الشيوعي» يبين لنا ما هي

المطالب التي عرضها ماركس على علم الاجتماع ، من حيث التحليل الموضوعي لأوضاع كل طبقة من طبقات المجتمع الحديث ، بالارتباط مع تحليل شروط تطور كل طبقة : «وليس بين جميع الطبقات التي تجاوئه الآن البرجوازية الا طبقة واحدة ثورية حقا هي البروليتاريا . فان جميع الطبقات الاخرى تنحطر وتهلك مع نمو الصناعة الكبرى ، اما البروليتاريا فهي نتاج هذه الصناعة بالذات . ان الفئات المتوسطة من صغار الصناعيين ، والباعة بالفرق ، والحرفيين ، وال فلاحين ، تعارض البرجوازية من اجل الحفاظ على وجودها بوصفها فئات متوسطة . فهي ليست اذن ثورية ، بل محافظة ، واكثر من محافظة ايضا ، انها رجعية : فهي تحاول دفع عجلة التاريخ الى الوراء . واذا كانت ثورية فذلك يقدر ما ينتظرها الانتقال الى صفوف البروليتاريا ، وبقدر ما تدافع عن مصالحها المقبلة وليس عن مصالحها الحالية ، وهي تتخل عن وجهة نظرها الخاصة لتتبني وجهة نظر البروليتاريا». وفي جملة من المؤلفات التاريخية (راجعوا دليل المراجع) اعطى ماركس امثلة ساطعة وعميقة عن علم التاريخ المادي ، وعن تحليل اوضاع كل طبقة بذاتها ، واحياناً اوضاع مختلف الجماعات والفئات داخل الطبقة الواحدة ، وبين بكل جلاء لماذا . وكيف «ان كل نضال طبقي هو نضال سياسي» . ان المقطع الذي استشهدنا به آنفاً يبين بوضوح ، كم هي معقدة شبكة العلاقات الاجتماعية ، والدرجات الانتقالية بين طبقة وآخر ، وبين الماضي والمستقبل ، التي يحللها ماركس لكي يراعي محصل التطور التاريخي كله :

ان نظرية ماركس تجد تأكيدها وتطبيقاتها الاكثر عمقاً وشمولاً وتفصيلاً، في مذهبه الاقتصادي.

مذهب ماركس الاقتصادي

يقول ماركس في مقدمة كتابه «رأس المال» : «ان الهدف النهائي لهذا الكتاب هو الكشف عن القانون الاقتصادي لحركة المجتمع القائم حالياً» اي المجتمع الرأسمالي ، البرجوازي . فدراسة علاقات الانتاج

في هذا المجتمع المحدد تاريخياً ، من حيث تشوّقها وتطورها وزوالها ، ذلك هو مضمون مذهب ماركس الاقتصادي . وفي المجتمع الرأسمالي يسود انتاج البضائع . ولهذا يبدأ تحليل ماركس بتحليل البضاعة .

الثانية

البضاعة هي ، أولاً ، شيء يسد حاجة من حاجات الإنسان وهي ، ثانياً ، شيء يمكن مبادلته بشيء آخر . إن منفعة شيء ما تجعله قيمة استهلاكية . أما القيمة التبادلية (أو القيمة ، باختصار) فهي ، قبل كل شيء ، العلاقة ، النسبة ، في مبادلة عدد من القيم الاستهلاكية من نوع ما بعدد من القيم الاستهلاكية من نوع آخر . إن التجربة اليومية تبين لنا أن الملايين والمليارات من مثل هذه المبادلات تعمل ، دون انقطاع ، على المعادلة بين جميع القيم الاستهلاكية الأكثر تنوعاً ، والأكثر تبايناً . فما هو العنصر المشترك بين هذه الأشياء المختلفة التي تجري معادلة بعضها ببعض باستمرار في ظل نظام معين من العلاقات الاجتماعية ؟ إن العنصر المشترك بينها ، هو كونها نتاجات عمل . فعندما يتبادل الناس منتجاتهم ، يعادلون بين أنواع العمل الأكثر تبايناً . إن انتاج البضائع هو نظام من العلاقات الاجتماعية يصنع فيه شتى المنتجين منتجات متنوعة (التقسيم الاجتماعي للعمل) ثم تجري المعادلة بين جميع هذه المنتجات أثناء التبادل . وبالتالي ، إن العنصر المشترك بين جميع البضائع ليس هو العمل الملموس في فرع معين من الانتاج ، وليس هو عملاً من نوع معين ، بل هو العمل الإنساني المجرد ، العمل الإنساني بوجه عام . ففي مجتمع معين ، تعتبر كل قوته العاملة الممثلة في مجموع قيم كل البضائع ، قوة عمل إنساني واحدة موحدة . والدليل على ذلك المليارات من وقائع التبادل . وهكذا ، بكل بضاعة مأخوذة بمفردها لا تمثل سوى جزء من وقت العمل الضروري اجتماعياً ، إن مقدار القيمة يتحدد بكمية العمل الضروري اجتماعياً ، أو بوقت العمل الضروري اجتماعياً لانتاج بضاعة معينة ، أي قيمة استهلاكية معينة . «إن المنتجين ، حين يعادلون بين منتجاتهم المختلفة في سياق تبادلها ، يعادلون

بذلك بين انواع عملهم المختلفة : وهم لا يدركون ذلك ولكنهم يفعلونه » (٢٣) .

لقد قال اقتصادي قديم : ان القيمة هي العلاقة بين شخصين . وكان عليه أن يضيف فقط إلى قوله هذا : علاقة مغلقة بخلاف مادي . ذلك أنه لا يمكن فهم ماهية القيمة الا بالاستناد إلى نظام علاقات الانتاج الاجتماعية لتشكيله تاريخية معينة ، اي العلاقات التي تتجلى في ظاهرة التبادل ، هذه الظاهرة الجماهيرية التي تتكرر مليارات المرات . «ان البضائع ، بوصفها قيمة ، ليست الا كميات محددة من وقت العمل المتجمد» (٢٤) . وبعد تحليل مفصل للصفة المزدوجة للعمل المتجسد في البضائع ، ينتقل ماركس إلى تحليل اشكال القيمة والعملة (النقد) . والمهمة الرئيسية التي يضعها نصب عينيه اذ ذاك هي دراسة افضل الشكل النقدي للقيمة ، دراسة المجرى التاريخي لتطور التبادل ، ابتداء من اعمال التبادل الافرادية والعرضية («شكل بسيط ، منفرد او طاري» للقيمة) : كمية معينة من بضاعة ما تبادل مقابل كمية معينة من بضاعة اخرى (حتى الشكل العام للقيمة عندما يتبادل عدد من البضائع المختلفة ببضاعة واحدة معينة ، وحتى الشكل النقدي للقيمة حيث يصبح الذهب تلك البضاعة المعينة ، اي المعادل العام . ان النقد ، بوصفه المحلول الاعلى لتطور التبادل والانتاج البضاعي يطمس ويقتصر الصفة الاجتماعية للعمل الفردي ، اي العلاقة الاجتماعية بين المنتجين المنفردين الذين تجمع السوق شملهم . ويختصر ماركس تحليل مفصل إلى اقصى حد ، حتى وظائف النقد . هنا ، ومن المهم جداً ان نلاحظ هنا ايضاً (كما في جميع الفصول الأولى من كتاب «رأس المال») ان عرضه مجرد الذي يبدو احياناً استدلالياً صرفاً ، يقدم وفرة وفيرة من الواقع حول تاريخ تطور التبادل والانتاج البضاعي . «ان النقد يفترض مستوى رفيعاً الى حد معين من التبادل البضاعي . ان شق اشكال النقد - كمعادل بسيط للبضاعة ، او وسيلة للتداول ، او وسيلة للدفع ، وكنز مخزون ، ونقد عالي - تدل ، وفقاً لاختلاف ابعاد استخدام هذه الوظيفة او تلك ، ولنسبة تفوق وظيفة على اخرى ، على مراحل مختلفة جداً من عملية الانتاج الاجتماعية» («رأس المال» ، المجلد الاول) (٢٥) .

القيمة الواقدة

. في درجة ما من تطور الانتاج البضاعي يتحول النقد الى رأس مال . لقد كانت صيغة التداول البضاعي : بـ(بضاعة) - نـ(نقد) - بـ(بضاعة) ، اي بيع بضاعة في سبيل شراء غيرها . اما صيغة رأس المال العامة فهي بالعكس : نـ- بـ- نـ ، اي شراء في سبيل بيع (مع ربح) . ان هذه الزيادة في القيمة الاولى للنقد الذي وضع قيد التداول هي ما يسميه ماركس القيمة الزائدة . و«زيادة» المال هذه في مجرى التداول الرأسمالي واقع معروف لدى الجميع . ان هذه «الزيادة» بعينها هي التي تحول المال الى رأس المال بوصفه علاقة انتاج اجتماعية خاصة ، محددة تاريخياً . ولا يمكن للقيمة الزائدة ان تنجم عن التداول البضاعي لأن هذا التداول لا يعرف سوى تبادل اشياء متعادلة ؛ ولا يمكن لها ان تنجم عن ارتفاع الاسعار لأن الخسائر والارباح المتبادلة لدى كل من الشاريين والبائعين تتوافق ؛ والحال ان الأمر يتعلق بظاهرة اجتماعية وسطوية وعممية ، لا بظاهرة فردية . فمن أجل الحصول على القيمة الزائدة ، «لا بد لصاحب المال من العثور على بضاعة في السوق ، تتميز قيمتها الاستهلاكية ذاتها بخاصية اصيلة هي ان تكون مصدراً للقيمة» (٢٦) ، اي بضاعة ، تكون عملية استهلاكها في الوقت نفسه عملية خلق القيمة . وبالفعل ، هذه البضاعة موجودة : أنها قوة العمل الانساني . ان استهلاكها إنما هو العمل ، والعمل يخلق القيمة . ان صاحب المال يشتري قوة العمل بقيمتها التي يحددها ، مثل قيمة كل بضاعة أخرى ، وقت العمل الضروري اجتماعياً لانتاجها (اي نفقات اعالة العامل وعائلته) . وحين يشتري صاحب المال قوة العمل يصبح من حقه ان يستهلكها ، اي ان يجعلها تعمل طوال النهار ، ولنقل ١٢ ساعة . ولكن العامل ، حين يشتغل ٦ ساعات (اي وقت العمل «الضروري») ، ينتج ما يغطي نفقات إعالته ، وفي الساعات الست الأخرى (اي وقت العمل «الزائد») ينتج منتوجاً «زائداً» ، لا يدفع الرأسمالي اجرة عنه ، اي يخلق القيمة الزائدة . وبالتالي ، ومن وجاهة نظر عملية الانتاج ، يجب ان نميز قسمين في الرأس المال : الرأس المال الثابت الذي ينفق على وسائل الانتاج (آلات ، وأدوات عمل ، ومواد خام ، الخ .) وتنتقل قيمته كما

هي (دفعة واحدة او دفعات) الى المنتوج الجاهز ، والرأسمال المتغير (المتحرك) الذي ينفق على قوة العمل . وقيمة هذا الرأسماł لا تظل ثابتة ، بل تنمو في عملية الانتاج ، اذ تخلق القيمة الزائدة . وعليه ، من اجل التعبير عن درجة استثمار الرأسماł لقوة العمل ، يجب مقارنة القيمة الزائدة ، لا بالرأسمال كله ، بل بالرأسمال المتغير وحده . ان معدل القيمة الزائدة ، الاسم الذي اطلقه ماركس على هذه العلاقة ، سيكون في مثلنا $\frac{1}{6}$ او 100 بالمئة .

ان المقدمة التاريخية لظهور الرأسماł ، هي ، اولاً ، تراكم كمية معينة من النقد في ايدي عدد من الافراد ، وفي ظل مستوى رفيع نسبياً لتطور البضاعي عموماً؛ وهي ، ثانياً ، وجود عمال «حرار» من وجهتين : من وجہة انهم احرار من كل تضييق ومن كل تقييد في بيع قوة عملهم ، واحرار ، لأنهم لا يملكون ارضاً ولا وسائل انتاج بوجه عام ، اي وجود عمال بدون استثمار ، وجود عمال «بروليتاريين» لا يستطيعون العيش بغير بيع قوة عملهم .

ان زيادة القيمة الزائدة امر يمكن تحقيقه بطريقتين اساسيتين : تطويل يوم العمل («قيمة زائدة مطلقة») ، وانقصان يوم العمل الضروري («قيمة زائدة نسبية»). وعندما يحلل ماركس الطريقة الاولى ، يرسم لوحة رائعة لنضال الطبقة العاملة في سبيل انقصان يوم العمل ، ولتدخل سلطة الدولة في سبيل تطويله (من القرن الرابع عشر الى القرن السابع عشر) وفي سبيل انقصانه (تشريع المصانع في القرن التاسع عشر) . ومنذ نشر كتاب «رأس المال» ، قدم تاريخ الحركة العمالية في جميع البلدان المتقدمة في العالم عدداً لا يحصى من الواقع الجديدة التي تبرهن على صدق هذه اللوحة .

ان ماركس ، عند تحليله انتاج القيمة الزائدة النسبية ، يدرس المراحل التاريخية الاساسية الثلاث لزيادة انتاجية العمل من قبل الرأسمالية : ١) التعاون البسيط ؛ ٢) تقسيم العمل والمانيفاكتور ؛ ٣) الآلات والصناعة الكبرى . ان العمق الذي يكشف به ماركس الخطوط الاساسية التمزجية لتطور الرأسمالية ، يظهر ، فيما يظهر ، من كون دراسة الصناعة المسماة الصناعة «الحرفية» في روسيا تقدم ادلة وافرة جداً تلقى التأكيد على المرحلتين الاوليين من هذه المراحل الثلاث . اما تأثير الصناعة الآلية الضخمة الثوري الذي

وصفه ماركس في ١٨٦٧ ، فقد تكشف خلال نصف القرن المنصرم منذ ذلك الحين في عدة بلدان «جديدة» (روسيا واليابان وغيرهما) . وبعد ، ان الامر الجديد والهام الى اقصى حد عند ماركس ، هو تحليل تراكم الرأسمال اي تحول قسم من القيمة الزائدة الى رأسمال ، واستعماله لا لسد حاجات الرأسمالي الشخصية ، او لارضاء نزواته ، بل للانتاج من جديد . لقد اشار ماركس الى خطأ الاقتصاد السياسي الكلاسيكي السابق كله (ابتداء من آدم سميث) الذي يعتبر ان كل القيمة الزائدة التي تتحول الى رأسمال ، تذهب الى الرأسمال المتغير . اما في الواقع فهي تنقسم الى وسائل انتاج ورأسمال متغير . وفي عملية تطور الرأسمالية تحولها الى اشتراكية يتسم بأهمية هائلة واقع ازدياد حصة الرأسمال الثابت (من اصل مجمل الرأسمال) بمزيد من السرعة ، بالقياس الى حصة الرأسمال المتغير .

ان تراكم الرأسمال ، بتعجيله في احلال الآلة محل العمال ، بتوفيره الشراء في قطب ، والبؤس في قطب آخر ، يخلق ايضاً ما يسمى «بجيشه العمل الاحتياطي» او «الفائض النسبي» من العمال ، او «فيض السكان الرأسمالي» الذي يرتدى اشكالاً متنوعة الى اقصى حدود التنوع ، ويمكن الرأسمال من ان يوسع الانتاج بسرعة بالغة . ان هذه الامكانية ، اذا نسقت مع التسليف وتراكم الرأسمال بشكل وسائل انتاج ، تعطينا ، فيما تعطيه ، مفتاحاً لفهم ازمات فيض الانتاج التي كانت تنشب على نحو دوري في البلدان الرأسمالية ، في البدء مرة في كل عشر سنوات تقريباً ، ومن ثم ، في فترات اقل تقارباً واقل ثباتاً . ويجب التمييز بين تراكم الرأسمال على اساس الرأسمالية ، والتراكم المسمى بالتراكم البدائي الذي يتجلى في فصل الشغيل بالعنف عن وسائل الانتاج ، وطرد الفلاحين من اراضيهم ، وسرقة الاراضي المشاعية ، ونظام المستعمرات ، والديون العامة ، ورسوم الجماعة الخ . . ان «التراكم البدائي» يخلق البروليتاري «الحر» في قطب ، وفي قطب آخر ، القابض على المال ، الرأسمال . ويصف ماركس «الاتجاه التاريخي للتراكم الرأسمالي» بهذه العبارات المشهورة : «ان انتزاع ملكية المنتجين المباشرين يتم باشد الوسائل همجية وبلا شفقة ، وبدافع من احبط المشاعر ، وأحقها ،

وأشدّها تقاهة وتكللاً . فالملكية الخاصة المكتسبة بعمل المالك» (عمل الفلاح والعرفي) «والقائمة ، اذا جاز التعبير ، على اندماج الشغيل الفردي المستقل مع ادواته ووسائله للعمل ، تزيحها الملكية الخاصة الرأسمالية التي ترتكز على استثمار قوة عمل الغير التي تعتبر مع ذلك حرة شكلياً . . . اما من يتعرض الان لانتزاع ملكيته ، فليس هو العامل الذي يدير بنفسه استثمارته . بل الرأسمالي الذي يستثمر العديد من العمال . ان انتزاع الملكية هذا ، يتم بفعل القوانين الملزمة للإنتاج الرأسمالي نفسه عن طريق تمركز الرساميل . ان رأسمايلياً واحداً يقضى على الكثيرين من امثاله . والى جانب هذا التمركز ، اي انتزاع بعض الرأساليين ملكية عدد كبير من امثالهم ، يتطور الشكل التعاوني لعملية العمل على نطاق يتسع اكثراً فاكثراً ، كما يتتطور تطبيق العلم على التكنيك تطبيقاً فطناً ومتعملاً ، واستثمار الارض استثماراً منهاجيأً ، وتحويل وسائل العمل الى وسائل للعمل لا يمكن استعمالها الا استعملاً مشتركاً ، وادخال جميع وسائل الانتاج في حلبة الاقتصاد باستعمالها كوسائل انتاج لعمل اجتماعي مركب ، وجر جميع الشعوب الى شبكة السوق العالمية ؛ وفي الوقت نفسه ، تتطور الصفة العالمية للنظام الرأسمالي . ومع التناقض المستمر لعدد دعاقة الرأسمال الذين يغتصبون ويحتكرون جميع منافع عملية التحول هذه ، يزداد عبء البؤس والظلم والاستبعاد والانحطاط والاستثمار ، ولكن يزداد ايضاً سخط الطبقة العاملة ، التي تتثقف وتتحدد وتتنظم بفعل آلية عملية الانتاج الرأسمالي نفسها . وهكذا يصبح احتكار الرأسمال قيداً لاسلوب الانتاج الذي نشأ مع هذا الاحتياطي وفي ظله . ان تمرّكز وسائل الانتاج ، يجعل العمل اجتماعياً ينتهيان الى حد انهما لا يعودان يتطابقان مع غلافهما الرأسمالي ، فينفع . ان الساعة الاخيرة للملكية الخاصة الرأسمالية تدق . ان مفترضي الملكية تنتزع منهم ملكيتهم» («رأس المال» ، المجلد الاول) (٢٧) .

ثم ، ان ما هو مهم للغاية وجديد انما هو تحليل ماركس في المجلد الثاني من «رأس المال» لتجديده انتاج الرأسمال الاجتماعي بمجموعه . وهنا ايضاً لا يأخذ ماركس ظاهرة فردية بل ظاهرة عامة ، لا جزءاً من الاقتصاد الاجتماعي بل الاقتصاد الاجتماعي

بكليته . ان ماركس ، عند اصلاحه خطأ الكلاسيكيين المشار اليه آنفاً ، يقسم مجموع الانتاج الاجتماعي الى قسمين كبيرين : اولاً ، انتاج وسائل الانتاج ، ثانياً ، انتاج سلع الاستهلاك . ثم ، بالاستناد الى ارقام يأخذها على سبيل المثال ، يدرس درساً دقيقاً تداول الرأسمال الاجتماعي بمجموعه ، سواء لدى تجديد الانتاج بمقاييسه السابقة ام لدى التراكم . وفي المجلد الثالث من «رأس المال» تجد مسألة المعدل الوسطي للربح حلاً لها بالاستناد الى قانون القيمة . وانها لخطوة عظيمة خطأها العلم الاقتصادي الى الامام ، بفضل ماركس ، وتعني بها قيمته بهذا التحليل انطلاقاً من ظواهر الاقتصادية الواسعة ، مجموع الاقتصاد الاجتماعي ، لا من ظواهر عرضية او من مظهر المزاحمة الخارجي السطحي ، الامر الذي غالباً ما يكتفي به الاقتصاد السياسي المبتدل و«نظرية حدود المنفعة» (٢٨) الحديثة . ان ماركس يحلل ، في الدرجة الاولى ، اصل القيمة الزائدة ليدرس . بعد ذلك انقسامها الى ربح ، وفائدة ، وريع عقاري . ان الربح هو نسبة القيمة الزائدة الى مجموع الرأسمال الموظف في مشروع ما . والرأسمال «ذو التركيب العضوي العالمي» (اي الذي يربو فيه الرأسمال الثابت على الرأسمال المتغير بنسب اعلى من المعدل الاجتماعي الوسطي) ، يعطي معدلاً من الربح ادنى من المعدل الوسطي . والرأسمال «ذو التركيب العضوي المتخلف» يعطي معدلاً من الربح اعلى من المعدل الوسطي . ان تزاحم الرساميل وانتقالها العر من فرع الى آخر يعملان في الحالتين معدل الربح الى المعدل الوسطي . ان مجموع قيم جميع البضائع في المجتمع المعنى يوازي مجموع اثمن البضائع . ولكن ، في مختلف المشروعات وفي مختلف الفروع الانتاجية تباع البضائع ، بفعل المزاحمة ، لا بحسب قيمتها بل باسعار الانتاج (او بالاسعار الانتاجية) التي تعادل الرأسمال المتصروف مضافاً اليه الربح الوسطي .

وهكذا ، ان انحراف السعر عن القيمة ، وتساوي الربح ، الواقع الذي لا يقبل الجدل والمعروف لدى الجميع ، - يوضعه ماركس تمام الايضاح بالاستناد الى قانون القيمة ، اذ ان مجموع قيم جميع البضائع يعادل مجموع اسعارها . ولكن الطريق من القيمة

(الاجتماعية) الى الاسعار (الافرادية) ليس بسيطاً ومباشراً ، بل طريق معقد جداً : فمن الطبيعي تماماً ، في مجتمع يكون فيه منتجو البضائع ، متفرقين وغير مرتبطين فيما بينهم الا بواسطة السوق ، ان لا يتبعوا مفهول القانون الا بصورة وسطية ، اجتماعية ، عامة ، مع القضاء المتتبادل على الانحرافات الافرادية نحو هذه الجهة او تلك .

ان ازدياد انتاجية العمل يعني نمواً اسرع في الرأسمال الثابت بالقياس الى الرأسمال المتغير . ولكن ، لما كانت القيمة الزائدة لا ترتبط الا بالرأسمال المتغير ، فمن المفهوم ان يميل معدل الربح (اي نسبة القيمة الزائدة الى مجموع الرأسمال لا الى القسم المتغير منه فقط) الى الهبوط . ان ماركس يحلل تحليلاً مفصلاً هذا الميل ، كما يحلل الظروف التي تقفعه او تعاكسه . ودون ان نتوقف عند الفصول البالغة الأهمية في المجلد الثالث المكرسة لرأس المال البر با والرأسمال التجاري والرأسمال النقدي ، ننتقل الى الشيء الرئيسي ، الا وهو نظرية الربح العقاري . لما كانت مساحة الارض محدودة ، ويشغلها تماماً في البلدان الرأسمالية ملاكون فرديون ، اصبح سعر انتاج المنتجات الزراعية لا يتحدد بكلفة الانتاج على ارض وسطية النوع ، بل على ارض من النوع اسوأ ، ولا بالظروف الوسطية لا يصل المنتجات الى السوق ، بل بالظروف اسوأ . ان الفرق بين هذا السعر ، وسعر الانتاج على اجدد ارض (او في احسن الظروف) يعطي الفرق او المتفاوت . ان ماركس ، بالاستناد الى تحليل مفصل لهذا الربح ، وانه تبيان نشوئه لدى التفاوت (الفرق) في خصوبة الاراضي ولدى تفاوت (فرق) مقادير الرساميل الموظفة في الزراعة ، قد اوضح تماماً (راجعوا ايضاً «نظريات القيمة الزائدة» حيث يستحق انتقاد رودبرتوس اهتماماً خاصاً) خطأ ريكاردو الذي يزعم ان الربح الفرقي لا يحصل الا بالانتقال المتتابع من اراض اكثراً جودة ، الى اراض اقل جودة . فالامر على خلاف ذلك : فان تغيرات معاكسة تحدث ايضاً . فالاراضي من فئة معينة تتتحول الى اراض من فئة اخرى (بفعل تقدم التكنيك الزراعي ونمو المدن ، الخ .)، ولذا ييدو القانون الشهير ، «قانون تناقص نصيب التربة» ، خطأ فادحاً ويلقي عيوب الرأسمالية ، ومحدودياتها ، وتناقضاتها ، على كاهل

الطبيعة . ثم ان تساوي الربع في جميع فروع الصناعة والاقتصاد الوطني يوجه عام يفترض حرية تامة في المزاحمة ، وحرية نقل الرأسمال من فرع الى آخر . ولكن الملكية الخاصة للأرض تخلق احتكاراً وعقبة في وجه حرية النقل هذه . ان منتجات الزراعة التي تتميز بتركيب عضوي منخفض في رأس المالها ، والتي تعطي ، بالتالي ، معدلاً أعلى للربح الفردي ، لا تدخل ؛ بفعل هذا الاحتياط ، في عملية تساوي معدل الربح العادة تماماً ؛ فمالك الأرض ، بصفته محتكرأ ، يتمكن من ابقاء السعر في مستوى أعلى من الوسط ، وهذا السعر الاحتياطي يغلق الربح المطلق . ان الربح الفرقي لا يمكن القضاء عليه في ظل النظام الرأسمالي ، وعكساً لذلك ، يمكن القضاء على الربح المطلق ، بتأميم الأرض مثلاً ، عندما تصبح الأرض ملكاً للدولة . ان انتقال الأرض الى الدولة على هذا النحو من شأنه ان يتعرض احتكار الملاكين الخاصين ، كما من شأنه ان يؤمن حرية المزاحمة في الزراعة بمزيد من الانسجام والاستكمال . ولهذا ، كما يقول ماركس ، تقدم البرجوازيون الراديكاليون ، أكثر من مرة في التاريخ ، بهذا المطلب البرجوازي التقدمي القائل بتأميم الأرض ، هذا المطلب الذي يخف ، مع ذلك ، اكتيرية البرجوازية ، لانه «يس» عن قرب قريب احتكاراً آخر ، له في ايامنا هذه اهمية خاصة و«حساسية» خاصة ، هو احتكار وسائل الانتاج بوجه عام . (ان هذه النظرية حول الربح الوسطي للرأسمال و حول الربح العقاري المطلق قد عرضها ماركس باسلوب رائع ، بسيط و مختصر و واضح ، في رسالته الى انجلس بتاريخ ٢ آب (اغسطس) سنة ١٨٦٢ . راجع «المراسلات» ، المجلد الثالث ، ص ٧٧-٨١ ، و رسالته المؤرخة في ٩ آب (اغسطس) سنة ١٨٦٢ ، ص ٨٦-٨٧ ، المصدر نفسه) . وبصدق تاريخ الربح العقاري ، من العهم كذلك الاشارة الى تحليل ماركس الذي يبين تحول الربح - السخرة (عندما يخلق الفلاح نتاجاً اضافياً بعمله في ارض الملاك) الى ربح بمحاصيل او ربح عيني (عندما يخلق الفلاح على ارضه نتاجاً اضافياً يقدمه للملاك بحكم «الاكراه غير الاقتصادي») ، ثم الى ربح نقدي (وهو ربح عيني محول الى نقد - «اوبروك» (اي اتاوة) في روسيا القديمة - بسبب تطور الانتاج البضاعي) ؛ وخيراً الى ربح رأسمالي ، عندما يحل محل

الفلاح في الزراعة رب عمل يزرع الارض بالتجوء الى العمل الماجور . ولنشر يقصد هذا التحليل «لاصل الريع العقاري الرأسمالي» ، الى جملة من افكار ماركس العميقه (ذات الاممية الخاصة بالنسبة للبلدان المتاخرة كروسيا ، مثلاً) حول تطور الرأسمالية في الزراعة . «مع تحول الريع العيني الى ريع نقي» ، تتكون بالضرورة ، في الوقت نفسه ، وحتى مسبقاً ، طبقة من المياومين المعدمين الذين يعملون بالأجرة . وفي مرحلة نشوء هذه الطبقة ، اي حين تظهر بصورة متفرقة فقط ، يكون الفلاحون الميسورون الملزمون بدفع اتاوة ، قد اعتادوا ، بالطبع ، استئجار الاجراء الزراعيين لعبا بهم الخاص ، كما كان يحدث تماماً في النظام الاقطاعي ، حيث كان لل فلاحين اقنان الميسورين اقنانهم ايضاً . ومن هنا كانت توافر لهم امكانية جمع الثروة شيئاً فشيئاً وتحويل انفسهم الى رأسماليين مقبلين . وهكذا ، تتكون بين مالكي الارض القديمة من يديرون استثمارات مستقلة بينة تنبت مستأجرى الاراضي الرأسماليين الذين يرتبط تطورهم بالتتطور العام للانتاج الرأسمالي خارج الزراعة» («رأس المال» ، المجلد الثالث ، ٢ ، ص ٣٣٢) ... «ان انتزاع ملكية قسم من سكان الارياف وطردهم من الريف لا «يعززان» عملاً ووسائلهم للعيش وادواتهم للعمل ، من اجل الرأس المال الصناعي وحسب ، بل يخلقان السوق الداخلية ايضاً» («رأس المال» ، المجلد الاول ، ٢ ، ص ٧٧٨) . ان املاقي وخزاب سكان الارياف يسهمان ، بدورهما ، في انشاء جيش احتياطي من العمال للرأسمال . لهذا ، في كل بلد رأسمالي «يوجد قسم من سكان الارياف يوشك على الدوام ان يتحول الى سكان مدن ، او الى سكان يعملون في المانيفاكتورات (اي غير زراعيين) . وهذا اليقوع لفيض السكان النسبي لا ينضب ابداً... فالعامل الزراعي مكره على تقاضي الحد الادنى من الاجرة ؛ ويقف دائمًا على احدى رجليه في مستنقع الاملاقي» («رأس المال» ، المجلد الاول ، ٢ ، ص ٦٦٨) (٣١) . ان ملكية الفلاح الخاصة للارض التي يزرعها تؤلف اساس الانتاج الصغير ، تؤلف الشرط الذي يسمح لهذا الانتاج بان يزدهر ويأخذ شكلًا كلاسيكيًا . ولكن هذا الانتاج الصغير لا يتافق الا مع الاطارات البدائية الضيقة للانتاج والمجتمع . ففي ظل الرأسمالية «لا يتميز استئجار الفلاحين عن

استثمار البروليتاريا الصناعية الا من حيث الشكل . فالمستثمر هو هو ، اي الرأسمال . ان الرأسماليين ، كلما يمفرده ، يستثمرون الفلاحين ، كلما يصرفه ، بواسطة الرحمن والربا . ان طبقة الرأسماليين تستثمر طبقة الفلاحين بواسطة الضرائب الحكومية» ((«نضال الطبقات في فرنسا») (٣٢) . ان قطعة ارض الفلاح الصغيرة لم تعد سوى ذريعة تتبع للرأسمالي ان يعني من الارض ربعاً وفائدة وريعها ، وان يترك لمالك الارض نفسه امر الاهتمام بالطريقة التي يراها ناجحة للمحصول على اجرته» ((«برومير») (٣٣) . بل ان الفلاح يقدم عادة الى المجتمع الرأسمالي ، اي الى طبقة الرأسماليين ، قسماً من اجرته ، ويقع على هذا النحو «في حالة المكتوى الازلندي ، مع احتفاظه بمضير المالك الفردي» ((«نضال الطبقات في فرنسا») (٣٤) . فما هو اذن «احد الاسباب التي تؤدي الى ان يكون سعر العبوب في البلدان التي تسود فيها الملكية العقارية الفلاحية الصغيرة اقل منه في البلدان ذات اسلوب الانتاج الرأسمالي» ؟ ((«رأس المال» ، المجلد الثالث ، ٢ ، ص ٣٤٠) ذلك ان الفلاح يقدم مجاناً الى المجتمع (اي الى طبقة الرأسماليين) قسماً من نتاجه الزائد . «ان هذا السعر المنخفض (اي سعر العبوب وبقية المنتجات الزراعية) ينجم اذن عن فقر المنتجين ولا ينجم ابداً عن انتاجية عملهم» ((«رأس المال» ، المجلد الثالث ، ٢ ، ص ٣٤٠) . فان الملكية العقارية الصغيرة ، التي هي الشكل العادي للإنتاج الصغير ، تتدحر في ظل الرأسمالية وتبيد وتهلك . «ان الملكية العقارية الصغيرة تنفي ، بحكم طبيعتها ، ما يلي : تطور قوى العمل المنتجة الاجتماعية ، واشكال العمل الاجتماعية ، وتمرّن الرساميل الاجتماعي ، وتربيّة المواشي على نطاق كبير ، وتطبيق العلم تطبيقاً مطرداً . ان الربا ونظام الضرائب يعتمان خراب الملكية العقارية الصغيرة في كل مكان . والرأسمال الموظف لشراء الارض يُنتزع من الزراعة . ووسائل الانتاج تُنجز الى ما لا نهاية . والمنتجون انفسهم يتبعرون» . (ان التعاونيات ، اي جمعيات الفلاحين الصغار ، التي تقوم باعظم دور تقدمي برجوازي ، يمكنها ان تضعف فقط هذا الميل ، دون ان تمحوه ؛ ويجب ان لا ننسى ايضاً ان هذه التعاونيات تعطي كثيراً للفلاحين الميسورين ، ولكنها تعطي قليلاً جداً لجمهور الفلاحين الفقراء او لا تعطيهما شيئاً

تقريباً ، ثم ان الامر ينتهي بهذه الجمعيات الى ان تصبىع هي نفسها مستغلات للعمل المأجور) . «فهناك تبذير هائل للقوة الأساسية . ان تردي ظروف الانتاج باطراد ، وارتفاع اسعار وسائل الانتاج ، مما قانونان ملازمان للمملكة العقارية الصغيرة» (٣٥) . فان الرأسمالية لا تحول عملية الانتاج في الزراعة ، كما في الصناعة ، الا بتتوسيع «قائمة الشهداء المنتبعين» . «ان تبعثر العمال الزراعيين على مساحات شاسعة يحطم قوة مقاومتهم ، في حين ان تجمع عمال المدن يزيد من قوة مقاومتهم . وفي الزراعة الحديثة الرأسمالية ، كما في الصناعة الحديثة ، يتم التوصل الى انتهاء قوة العمل المنتجة ، والى زيادة تحرکها عن طريق تحطيم قوة العمل بالذات ، واستنفادها . ثم ان كل تقدم للزراعة الرأسمالية هو تقدم لا في فن نهب الشغيل وحسب ، بل في فن نهب التربة ايضاً ... فالانتاج الرأسمالي اذن لا يتطور التکنیک وتنسیق عملية الانتاج الاجتماعية الا باستنزافه في الوقت نفسه اليينبوعين اللذین تنبثق منهما كل ثروة : الارض ، والشغيل» («رأس المال» ، المجلد الاول ، نهاية الفصل الثالث عشر) .

الاشتراكية

نرى مما تقدم ، ان ماركس يستخلص استنتاجه عن حتمية تحول المجتمع الرأسمالي الى مجتمع اشتراكي بصورة تامة وعلى وجه الحصر من القانون الاقتصادي لحركة المجتمع الحديث . ان عملية جعل العمل اجتماعياً التي تتقدم بسرعة متزايدة ابداً وتجري بألوف الاشكال ، والتي تتجلى بوضوح خاص ، خلال نصف القرن الذي انتهى على وفاة ماركس ، في تنامي الصناعة الكبيرة والكارتيلات والسنديکات والتروستات الرأسمالية ، وفي التزايد الهائل لمقادير الرأسماł العالمي وقوته ، ذلك هو الاساس المادي الرئيسي لمجيء الاشتراكية الذي لا مناص منه . ان المحرك الفكري والمعنوي والمنفذ العملي لهذا التحول انما هو البروليتاريا التي تربىها الرأسمالية نفسها . ان نضال البروليتاريا ضد البرجوازية ، الذي يتخذ اشكالاً مختلفة تفتقر بالمعنى باستمرار ، يصبح ،

حتماً ، نضالاً سياسياً يرمي إلى ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية («ديكتاتورية البروليتاريا») . ولا بد لعملية جمل الانتاج اجتماعياً من أن تجعل وسائل الانتاج ملكاً للمجتمع ، وتؤدي إلى «انتزاع الملكية من مقتببيها» . إن التزايد الضخم في انتاجية العمل ، وانقاض يوم العمل ، واحلال العمل الجماعي المتقن محل بقايا وانقاض الانتاج الصغير البدائي المبعثر ، تلك هي النتائج المباشرة لهذا التحول . إن الرأسمالية تقطع نهائياً الروابط بين الزراعة والصناعة ولكنها ، في الوقت نفسه ، تهيئ ، بتطورها الأعلى ، العناصر الجديدة لهذا الترابط ، وتهيء الجمع بين الصناعة والزراعة على أساس تطبيق العلم تطبيقاً واعياً ، وعلى أساس تنسيق العمل الجماعي ، وتوزيع جديد للسكان (واسعة حدّاً لعزلة الريف عن العالم ، وما يعانيه من أهمال وتوحش ، وكذلك لتكدس عدد ضخم من السكان في المدن الكبيرة على نحو غير طبيعي) . إن الأشكال العليا للرأسمالية الحديثة تهيئ شكلات جديدة للعائلة ، وظروفاً جديدة في وضع المرأة وفي تربية الأجيال الناشئة : فان استغلال عمل النساء والأولاد ، وافساد العائلة البطريركية من قبل الرأسمالية يأخذان ، حتماً ، في المجتمع الحديث أكثر الأشكال فظاعة وأشدّها تدميراً وتنفيراً .

ومع ذلك «فالصناعة الكبيرة ، باعطائها النساء والاحداث والأولاد من الجنسين دوراً حاسماً في عملية الانتاج المنظمة اجتماعياً ، خارج النطاق العائلي ، تخلق اساساً اقتصادياً لشكل أعلى من اشكال العائلة والعلاقات بين الجنسين . ومن الخرق ، طبعاً ، ان يعتبر بمثابة شيء مطلق سواء الشكل العرمني المسيحي للعائلة او اشكالها القديمة الرومانية واليونانية والشرقية التي تزلف في هرّابتها بعضها ببعض ، فيما تزلف ، سلسلة تاريخية واحدة من التطور . ومن البدهي ايضاً ان تركيب الهيئة العمالية المختلطة من افراد الجنسين على اختلاف اعمارهم ، مع كونه في شكله الرأسمالي العفوي الفظ ، حيث العامل موجود من اجل عملية الانتاج وليس عملية الانتاج موجودة من اجل العامل ، يؤلف ينبوعاً موبئاً للافساد والاستعباد ، - ان هذا التركيب لا بد ان يتبعه ، بالعكس ، في ظروف مؤاتية ، الى ينبوع للتطور الانساني»

(«رأس المال» ، المجلد الاول ، نهاية الفصل الثالث عشر) . ان النظام المصنعي يقدم لنا «اجنة التربية في المستقبل» ، حيث سيتم ، بالنسبة لجميع الارادات فوق سن معينة ، الجمع بين العمل المنتج والتعليم والرياضة ، وذلك ليس باعتباره طريقة تهدف الى زيادة الانتاج الاجتماعي ، بل باعتباره الطريقة الوحيدة لانتاج انسان متطورين من كل النواحي» (المصدر نفسه) . ثم ان اشتراكية ماركس تضع قضيتي القومية والدولة على الاساس التاريخي نفسه ، لا لتفسيير الماضي وحسب ، بل ايضاً للتنبؤ دون خوف بالمستقبل ، وللنشاط العملي الجريء الرامي الى تحقيق هذه الاشتراكية . ان الامم هي النتاج وأشكال الحتميات للمرحلة البرجوازية من التطور الاجتماعي . ان الطبقة العاملة لم تستطع ان تقوى نفسها وتنتصع وت تكون الا «بتكوين نفسها ضمن حدود الامة» ، دون ان تكون «قومية» ((وان لم يكن ذلك اطلاقاً بالمعنى البرجوازي لهذه الكلمة)) . والعال ، ان تطور الرأسمالية لا ينفك يحطم الحدود الوطنية ويهمم العزلة الوطنية ويحل التناحرات بينطبقات محل التناحرات بين الامم . ولهذا يكون من الصحيح تماماً في البلدان الرأسمالية المتقدمة «ان ليس للعمال وطن» ، وان «توحيد جهود» العمال ، في البلدان المتقدمة على الأقل ، «هو احد الشروط الاولية لتحرر البروليتاريا» ((البيان الشيوعي)) . اما الدولة ، هذا العنف المنظم ، فقد ظهرت ظهوراً حتمياً عند درجة معينة من تطور المجتمع ، حينما اصبح المجتمع منقسم الى طبقات لا يمكن التوفيق بينها ، ولم يعد في طوقيه ان يعيش بدون «سلطة» موضوعة ، كما يزعم ، فوق المجتمع ومفصولة عنه الى حد ما . وهذه الدولة ، التي ولدت في قلب التناقضات الطبقية ، تصبىع «دولة الطبقة الاقوى» ، الطبقة المسيطرة اقتصادياً ، والتي تغدو ايضاً ، بفضل مساعدة الدولة لها ، الطبقة المسيطرة سياسياً ، وهكذا تكتسب وسائل جديدة لانخضاع الطبقة المظلومة واستثمارها . وعلى هذا النحو كانت الدولة القديمة ، قبل كل شيء ، دولة ملاكي العبيد لانخضاع العبيد ، كما ان الدولة القطاعية كانت جهاز النبلاء لانخضاع الفلاحين الاقنان ، وكما ان الدولة التمثيلية الحديثة هي اداة استثمار الرأسماليين للعمال

المأجورين» (انجلترا ، «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» حيث عرض وجهات نظره ووجهات نظر ماركس) . و حتى الشكل الاوفر حرية والاكثر تقدما للدولة البرجوازية ، وتعني به الجمهورية الديموقراطية ، لا يلغى ابداً هذا الواقع ، بل يعدل شكله فقط (ارتباط الحكومة بالبورصة ، رشوة الموظفين والصحافة على نحو مباشر وغير مباشر ، الخ .). ان الاشتراكية ، اذ تقود الى تصفية الطبقات ، تقود ، وبالتالي ، الى تصفية الدولة . «ان أول عمل تقوم به الدولة باعتبارها ممثلاً فعلياً للمجتمع بأسره - اي الاستيلاء على وسائل الانتاج في صالح المجتمع بأسره - هو في الوقت نفسه آخر عمل مستقل تقوم به بوصفها دولة . ان تدخل سلطة الدولة في العلاقات الاجتماعية يصبح نافلاً في ميدان بعد آخر ثم يتلاشى من تلقاء نفسه : ومحل حكم الاشخاص تحل ادارة الاشياء وقيادة عملية الانتاج . ان الدولة لا «تلغى» ، انها تضيّع» (انجلس ، «ضد دوهرینغ») . ان المجتمع الذي سينظم الانتاج على اساس المشاركة الحرة المتساوية بين المنتجين ، سيعيد كل آلة الدولة الى المكان اللائق بها : الى منخف الآثار ، الى جانب المغزل اليدوي والفاس البرونزية» (انجلس ، «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة») .

واخيراً ، لا بد من ان نشير ، فيما يخص موقف اشتراكية ماركس من الفلاح الصغير الذي سيبقى موجوداً ايضاً في مرحلة انتزاع الملكية من مقتببيها ، الى هذا البيان من انجلس الذي يعبر عن رأي ماركس : «عندما نستولي على سلطة الدولة ، لن يكون في نيتنا انتزاع ملكية الفلاحين الصغار بالعنف (بتعمريض او بغير تعمريض ، سيان) الامر الذي سنكون مضطرين للقيام به بحق كبار الملاكين العقاريين . ان مهمتنا تجاه الفلاح الصغير ستكون ، قبل كل شيء ، توجيه انتاجه الخاص وملكيته الخاصة في السبيل التعاوني ، ولكن لا بواسطة العنف ، بل عن طريق المثل وتقديم مساعدة المجتمع لهذا الغرض . ومن المؤكد ان سيكون لدينا ما يكفي من الوسائل لاقناع الفلاح بجميع المزايا التي يتسم بها هذا التحول ، والتي لا بد من توضيحها له منذ الان» (انجلس ، «بصدد المسألة الزراعية في الغرب» . طبع اليكسييفا .

صفحة ١٧ . الترجمة الروسية باغلاط . النص الاصلي في جريدة
«Neue Zeit» (٣٦) .

تكتيك نضال البروليتاريا الطبقي

لما كان ماركس قد بين ، منذ ١٨٤٤-١٨٤٥ ، احد العيوب الأساسية في المادية القديمة ، وهو ان المادية القديمة لم تكون قادرة على تفهم شروط النشاط الثوري العملي ولا ان تقدر اهميته ، فإنه ، الى جانب اعماله النظرية ، قد اغار ، طوال حياته ، انتباهاً دائرياً لمسائل تكتيك نضال البروليتاريا الطبقي . وبهذا الصدد تعطينا مادة وفيرة للغاية جميع مؤلفات ماركس ، بما فيها مراسلاته مع انجلس ، المنشورة عام ١٩١٣ في اربعة مجلدات . ان هذه المادة ما تزال بعيدة عن ان تكون كلها مجموعة ، ومصنفة ، ومدرورة ، وعمقة . ولهذا يترتب علينا ان نكتفي هنا بأعم الملاحظات واوجزها ، مع الاشارة الى ان ماركس كان يعتبر بحق ان المادية ، اذا جردت من جانبها هذا ، كانت غير كاملة ، ووحيدة الجانب ، وعديمة الحيوية . لقد كان ماركس يحدد المهمة الأساسية لتكتيك البروليتاريا ، بالتوافق الدقيق مع جميع مقدمات مفهومه المادي-الدياليكتيكي . ان حساب الحساب بشكل موضوعي لمجموع العلاقات بين جميع الطبقات في مجتمع معين ، دون استثناء ، وبالتالي ، حساب الحساب للدرجة الموضوعية لتطور هذا المجتمع وللعلاقات بيته وبين سائر المجتمعات ، يمكن له وحده ان يكون سندأ لتكتيك صحيح للطبقة المتقدمة ؛ علماً بأنه يُنظر الى جميع الطبقات وجميع البلدان ، ليس في حالتها الساكنة ، بل في تحركها اي لا في حالة الجمود ، بل في حالة العركة (الحركة التي تنبثق قوانينها من الظروف الاقتصادية لمعيشة كل طبقة) . والحركة بدورها يُنظر اليها لا من وجهة نظر الماضي وحسب ، بل من وجهة نظر المستقبل ايضاً ، وفضلاً عن ذلك ، يُنظر اليها لا وفقاً للمفهوم المبتذر «للتطوررين» الذين لا يلاحظون سوى التحولات البطيئة ، بل وفقاً للدياليكتيك . فقد كتب ماركس

الى انجلس يقول : «في التطورات التاريخية الكبرى ، توازي عشرون سنة يوماً واحداً ، مع انه قد تأتي ، فيما بعد ، ايام تضم في احشائها عشرين سنة» («المراسلات» ، المجلد الثالث ، صفحه ١٢٧) (٣٧) . وفي كل درجة من التطور ، وفي كل لحظة ، يجب على تكتيك البروليتاريا ان يأخذ بعين الاعتبار هذا الدياليكтик ، الحتمي موضوعياً ، لتاريخ الانسانية ، وذلك ، من جهة ، باستخدام مراحل الركود السياسي ، اي مراحل التطور الذي يتقدم بخطى السلففاة او ما يسمى بالتطور «السلمي» ، من اجل تطوير الوعي والقوى والقدرة النضالية لدى الطبقة المتقدمة ، ومن جهة اخرى ، بالقيام بكل هذا العمل باتجاه «الهدف النهائي» لحركة هذه الطبقة ، وبجعلها قادرة على ان تحل عملياً المهمات الكبرى في الايام العظيمة «التي تضم في احشائها عشرين سنة» . ثمة موضوعاتان لماركس بهذا الصدد ، تتميزان باهمية خاصة . الاولى في كتابه «بوس الفلسفة» ، وتعلق بنضال البروليتاريا الاقتصادي وبنظماتها الاقتصادية : والاخري ، في «البيان الشيوعي» ، وتعلق بمهام البروليتاريا السياسية . اما الاولى فقد وردت كما يلي : «ان الصناعة الكبرى تجمع في مكان واحد جموراً من اناس لا يعرف بعضهم بعضاً . والمزاحمة تفرق مصالحهم . ولكن ، العرص على الاجرة ، هذه المصلحة المشتركة بينهم تجاه سيدهم ، تجمعهم على اساس فكرة واحدة ، فكرة المقاومة والتحالف ... ان التعاملات تبدأ منعزلة ثم تتالف في جماعات ، وبوجه الرأسمال المتجمع على الدوام ، يغدو حفاظ العمال على اتحاداتهم اهم بنظرهم من العرص على الاجرة ... وفي هذا النضال - هذه الحرب الاهلية الحقيقة - تتجمع وتتطور جميع العناصر الضرورية لمعركة مقبلة . وعند بلوغ هذه النقطة ، يأخذ التحالف طابعاً سياسياً» . ان لدينا هنا برنامج وتكتيك النضال الاقتصادي والحركة النقابية لبعض عشرات السنين ، لكل المرحلة الطويلة من تحضير قوى البروليتاريا «المعركة مقبلة» . وتجدر المقارنة بين ذلك وبين اشارات ماركس وانجلس العديدة ، المبنية على تجربة الحركة العمالية الانجليزية ، والتي تبين كيف ان «الازدهار» الصناعي يستثير محاولات «لشراء العمال» («المراسلات» ، المجلد الاول ، صفحه ١٣٦) (٣٨) ،

وصرفهم عن النضال ، وكيف ان هذا الازدهار «يفسد معنويات العمال» بوجه عام (المجلد الثاني ، صفحة ٢١٨) (٣٩) ؛ وكيف ان البروليتاريا الانجليزية «تبيرجز» وكيف ان «الامة الاكثر برجوازية بين الامم» (الامة الانجليزية) «تبدو كأنها ت يريد ان يكون لديها في آخر المطاف ، الى جانب البرجوازية ، اريستوقراطية برجوازية وبروليتاريا برجوازية» (المجلد الثاني ، صفحة ٢٩٠) (٤٠) ؛ وكيف ان «الطاقة الثورية» (٤١) تتلاشى وتزول لدى البروليتاريا الانجليزية (المجلد الثالث ، صفحة ١٢٤) ؛ وكيف يتبعي الانتظار زمناً قد يطول الى هذا الحد او ذاك «لكي يتخلص العمال الانجليز مما يبدو عليهم من الفساد البرجوازي» (المجلد الثالث ، صفحة ١٢٧) (٤٢) ؛ وكيف ان الحركة العمالية الانجليزية تنقصها «حمية الشارتين» (١٨٦٦) ، المجلد الثالث ، صفحة ٣٠٥) (٤٣) ؛ وكيف ان الزعماء العماليين الانجليز يشكلون نموذجاً وسطياً «بين البرجوازيين الراديكاليين والعمال» (تلخيص الى هوليووك ، المجلد الرابع ، صفحة ٢٠٩) (٤٤) ؛ وكيف «ان العامل الانجليزي لن يتدرك» بسبب احتكار انجلترا وما دام هذا الاحتياط قائماً (المجلد الرابع ، صفحة ٤٣٣) (٤٥) . ان تكتيك النضال الاقتصادي بالارتباط مع السير العام (ومع المال) للحركة العمالية ، مدروس هنا من وجهة نظر واسعة ، شاملة ، ديمقراطية على نحو رائع ، وثورية حقاً .

اما «البيان الشيوعي» ، فقد صاغ تكتيك النضال السياسي المبدأ الاساسي التالي للماركسية : «ان الشيوعيين يكافحون في سبيل مصالح الطبقة العاملة واهدافها المباشرة ، ولكنهم يدافعون في الوقت نفسه عن مستقبل الحركة» .. ومن اجل هذا ، ساند ماركس ، في ١٨٤٨ ، حزب «الثورة الزراعية» في بولونيا ، «اي الحزب الذي اثار انتفاضة كراكوفيا في ١٨٤٦» (٤٦) . وفي ١٨٤٨ - ١٨٤٩ ، ساند ماركس في المانيا ، الديموقراطية الثورية المتطرفة ، ولم يتراجع قط عما قاله حينذاك عن التكتيك . وكان يعتبر البرجوازية الالمانية عنصراً «كان يجتمع منذ البداية الى خيانة الشعب» (فقط التحالف مع جماهير الفلاحين كان بوسعه ان يتبع للبرجوازية بلوغ اغراضها كاملة) «والى اجراء مساومة مع الممثلين

المتوجين للمجتمع القديم» . وفيما يلي التحليل النهائي الذي اعطاه ماركس عن وضع البرجوازية الالمانية الطبقى في مرحلة الثورة البرجوازية الديموقراطية ، مع العلم ان هذا التحليل هو نموذج للنماذج التي تنظر الى المجتمع من حيث حركته ، وليس فقط من جانب العركه المتوجه نحو الماضي : «... عادمة الايمان . بنفسها (اي البرجوازية الالمانية - المغرب) ، عادمة الايمان بالشعب : متذمرة من الكبشار مرتجفة امام الصغار : ... خائفة من الاعصار العالمي ؛ فاقدة العزيمة في اي مكان ، متحركة في كل مكان : ... دون مبادرة : ... كعجوز تنيفع عليه اللعنة ، محكوم عليه بان يقود ، انطلاقاً من مصالحه هو العجوز ، الاندفاعات الفتية الاولى لشعب فتي قوي ...» ((الجريدة الرينانية الجديدة» ، ١٨٤٨ : راجعوا «التركة الادبية» ، المجلد الثالث ، صفحه ٢١٢) (٤٧) . وبعد زهاء عشرين سنة ، كتب ماركس ، في رسالة الى انجلس (المجلد الثالث ، صفحه ٢٢٤) ، ان فشل ثورة ١٨٤٨ سببه ان البرجوازية كانت قد فضلت المسالمة مع العبودية على مجرد امكانية الكفاح في سبيل الحرية . وعندما اختتمت مرحلة ثورات ١٨٤٩-١٨٤٨ ، هب ماركس ضد كل محاولة للعب بالثورة (النضال ضد شابير ووبلينغ) ملحاً على معرفة العمل في المرحلة الجديدة التي تهيني^٣ ثورات جديدة ، تحت ستار «سلم» ظاهري . ان تعليق ماركس التالي على الوضع في المانيا في ١٨٥٦ ، في مرحلة الرجعية الاشد اسوداداً يبين بأية روح كان ماركس يرغب في ان يتم هذا العمل : «سيتوقف كل شيء في المانيا على امكانية دعم الثورة البروليتارية بطبيعة ما جديدة لعرب الفلاحين» ((المراسلات» ، المجلد الثاني ، صفحه ١٠٨) (٤٨) . وطالما لم تنته الثورة الديموقراطية (البرجوازية) في المانيا ، وجّه ماركس كل انتباذه ، فيما يتعلق بتكتييك البروليتاريا الاشتراكية ، الى تطوير طاقة الفلاحين الديموقراطية . وكان يعتبر ان موقف لاسئل هو «موضوعياً خيانة للحركة العمالية في صالح بروسيا» (المجلد الثالث ، صفحه ٢١٠) (٤٩) ، وذلك بالضبط لأن لاسئل كان يتسامح مع الملوك العقاريين ونزعة التبعية القومي البوسني . وقد كتب انجلس في ١٨٦٥ ، اثناء

تبادل وجهات النظر مع ماركس بقصد مشروع بيان مشترك في الصحف ، يقول : «في بلد زراعي ، من السفالة ان يصار ، باسم العمال الصناعيين ، الى مهاجمة البرجوازية فقط ، مع التغاضي عن «استثمار» العمال الزراعيين ، على الطريقة البطريركية «تحت ضربات العصي» ، من جانب النبلاء الاقطاعيين» (المجلد الثالث ، صفحة ٢١٧ (٥٠) . وفي العقبة الممتدة من ١٨٦٤ الى ١٨٧٠ ، حينما كانت المرحلة الختامية من الثورة البرجوازية الديموقراطية في المانيا تشرف على نهايتها ، هذه المرحلة التي كانت تتنافس فيها طبقات المستثمرين في بروسيا والنمسا على طرق انجاز هذه الثورة من فوق ، لم يكتف ماركس بشجب لاسال لدعائياته مع بيسمارك ، انما كان يصلح ايضاً ليكتنف الذى وقع في «حب النمسا» وأخذ يدافع عن الخصائص المحلية . وكان ماركس يلح على انتهاج تكتيك ثوري يكافع بلا هوادة سواه بيسمارك ام محبي النمسا ، تكتيك لا يتکيف «للمنتصر» - اليونكر (٥١) الپروسي ، - بل يجدد النضال الثوري ضده فوراً ، وبالضبط على الصعيد الذي اوجده انتصارات بروسيا العسكرية («المراسلات» ، المجلد الثالث ، ص ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٧٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠-٤٤١ (٥٢) . وفي نداء الاممية الشهير ، الصادر في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٠ ، حذر ماركس البروليتاريا الفرنسية من انتفاضة قبل الاوان ، ولكن عندما قامت هذه الانتفاضة مع ذلك (١٨٧١) ، حيث ماركس بحماسة المبادرة الثورية لدى الجماهير «التي تهاجم النساء» (رسالة ماركس الى كوغلمان) (٥٣) . ان هزيمة التحرك الثوري في هذا الوضع ، كما في العديد من الوضاع الاخرى ، قد كانت من وجاهة نظر مادية ماركس الديالكتيكية ، شرأ اهون ، بالنسبة الى مجمل سير النضال البروليتاري وماله ، من شر اخلاق الموقف المحتل والاستسلام دون قتال : ان مثل هذا الاستسلام كان من شأنه ان يشطب من معنويات البروليتاريا وان يقوض كفاحيتها . ان ماركس ، مع تقديره التام لاستخدام وسائل النضال الشرعية في مراحل الركود السياسي وسيطرة الشرعية البرجوازية ، شجب بشدة باللغة في ١٨٧٧-١٨٧٨ ، بعد سن القانون

الاستثنائي ضد الاشتراكيين (٥٤) «الجملة الثورية» لدى موسى ، ولكنه حمل بنفس الشدة ، ان لم يكن اكثرا ، على الاتهامية التي كانت قد استولت موقتاً حينذاك على الحزب الاشتراكي-الديمقراطي الرسمي ، الذي لم يهدِ فوراً الثبات والصلابة والروح الثورية والاستعداد للانتقال الى النضال السري ببدأ على القانون الاستثنائي . («المراسلات» ، المجلد الرابع ، ص ٣٩٧ ، ٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ . (٥٥) راجعوا ايضاً رسائل ماركس الى زورغه) .

المجلد ٢٦
ص ٨١-٨٣

كتب بين تموز (يوليو)
وتشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤
صدر عن ١٩١٥ مع اختصارات
في معجم غرائب الموسوعي ،
الطبعة السابعة ، المجلد ٢٨

فريدرريك انجلس

اي مشعل للتفكير قد انطفأ ،
اي قلب توقف عن الخفقان ! (٥٦)

في ٥ آب (اغسطس) ١٨٩٥ توفي فريدرريك انجلس في لندن . لقد كان انجلس ، بعد صديقه كارل ماركس (المتوفى في ١٨٨٣) ابرز عالم ومرجع للبروليتاريا المعاصرة في العالم المتعدد باسره . ومنذ ان جمع المصير كارل ماركس وفريدرريك انجلس ، اصبح حمل جيادة الصديقين عملاً مشتركاً . ولذا ، لاجل ادراك ما صنعته فريدرريك انجلس في سبيل البروليتاريا ، ينبغي ان نفهم بوضوح الدور الذي اضطلع به مذهب ماركس ونشاطه في تطوير العركة العمالية المعاصرة . لقد كان ماركس وانجلس اولى من بيتنا ان الطبيعة العاملة تولد بالضرورة ، مع مطالبها ، من النظام الاقتصادي العالمي الذي ، مع البرجوازية ، يغلق وينظم البروليتاريا بصورة حتمية . وبيتنا ايضاً ان ليست المحاولات الطيبة التي يقوم بها هؤلاء او اولئك الاشخاص الكرماء هي التي ستحرر الجنس البشري من البلايا التي تضيق عليه في الوقت الحاضر ، بل النضال الظبقي الذي تخوضه البروليتاريا المنظمة . وقد كان ماركس وانجلس اولى من يبرهننا ، في مؤلفاتهما العلمية ، على ان الاشتراكية ليست ضرباً من تخيلات العالمين ، بل هي الهدف النهائي والنتيجة الضرورية لتطور القوى المنتجة في المجتمع المعاصر . ان كل التاريخ المكتوب حتى ايامنا هذه قد كان تاريخ نضال الطبقات ، وتعاقب سيطرة واتصالات طبقات اجتماعية على طبقات اخرى . وهذه الحالة ستتدوم ما دامت اسس نضال الطبقات والسيطرة الظبقيّة قائمة – اي ما دامت الملكية الخامسة والانتاج الاجتماعي الفوضوي . ان مصالح البروليتاريا تتطلب تدمير هذه الاسس ، فينبغي ، اذن ، ان يُوجه ضدها نضال العمال المنظمين ، الواقعي الظبقي . والحال ، ان كل نضال طبقي هو نضال سياسي .

ان كل البروليتاريا المناضلة في سبيل انتهاقها قد استوعبت ، الان ، آراء ماركس وانجلس هذه . ولكن عندما ساهم الصديقان ، في الأربعينيات ، بالمنشورات الاشتراكية والعركات الاجتماعية في عصرهما ، بدت هذه المفاهيم جديدة تماماً . فعديدين حينذاك كان الناس المهووبون او غير المهووبين ، الشرفاء او غير الشرفاء ، الذين كانوا لا يرون تضاد مصالح البرجوازية والبروليتاريا ، نظراً لانسياقهم في غمرة النضال في سبيل الحرية السياسية وضد استبداد الملوك والبولييس ورجال الدين . بل ان هؤلاء الناس كانوا لا يقرؤن بالفكرة القائلة ان في وسیع العمال ان يعملوا كفورة اجتماعية مستقلة . ومن جهة اخرى ، كان عدد كبير من العالمين ، ومن العالمين ذوي العبرية احياناً ، يعتقدون بأنه يكفي اقناع الحكام والطبقات السائدة بجور النظام الاجتماعي القائم ، من اجل اقامته السلام والرفاه الشاملين على الارض . وكانوا يعلمون باشتراكية لا صراع من اجلها . وانهياراً ، كان جميع اشتراكيي ذلك العين تقريباً ، واصدقاء الطبقة العاملة بوجه عام ، لا يرون في البروليتاريا سوى فرحة ، وكانتا يرون ، في رعب ، ان هذه القرحة تكبر بقدر ما كانت الصناعة تتطور . ولذا كانوا يسعون وراء جميع الوسائل لأجل وقف تطور الصناعة والبروليتاريا ، لأجل وقف «دولاب التاريخ» . وعلى تقىض الخوف العام الذي كان يستثيره تطور البروليتاريا ، كان ماركس وانجلس يضعان كل املهما في نموها المتواصل . فكلما ازداد عدد البروليتاريين ، تعاظمت قوتهم بوصفهم طبقة ثورية ، واقتربت الاشتراكية واصبحت ممكنة . على هذا النحو يمكن التعبير ، ببعض الكلمات ، عن مأثر ماركس وانجلس ازاً الطبقة العاملة : لقد علماهما ان تعرف نفسها ، ان تدرك نفسها ، واحلاً العلم محل الاحلام .

لهذا ينبغي ان يعرف كل عامل من العمال اسم انجلس وحياته . ولهذا يتربى علينا ، في كتابنا هذا ، - الذي يهدف ، كما تهدف جميع منشوراتنا ، الى ايقاظ الوعي الظبي لدى العمال الروس ، - ان نرسم قصة حياة ونشاط فريدريك انجلس ، احد مربي البروليتاريا المعاصرة العظيمين .

ولد انجلس عام ١٨٢٠ في بارمن ، وهي مدينة من إقليم

ريناني تابع لملكة بروسيا . وكان والده صاحب مصنع . وفي عام ١٨٣٨ ، اضطر انجلس ، لاسباب عائلية ، وقبل ان ينهي دراسته الثانوية ، لأن يعمل مستخدماً في مؤسسة تجارية في مدينة برلين . ولكن الأعمال التجارية لم تمنع انجلس قط من العمل على تنقيف نفسه علمياً وسياسياً . فمنذ ما كان في المدرسة ، فقد حقد على الاوتوكراطية ، وعلى تعسف الدواوينية (البير وقراطية) . وقد دفعته دراساته الفلسفية الى ابعد من ذلك . فقد كان مذهب هيغل ، في ذلك الحين ، مسيطرًا في الفلسفة الالمانية ؛ واصبح انجلس من اتباعه . ومع ان هيغل نفسه كان معجبًا بالدولة البروسية الاوتوكراطية التي كان يخدمها بوصفه استاذًا في جامعة برلين ، فقد كان مذهبة مع ذلك ثوريًا . ان ايمان هيغل بالعقل البشري وحقوقه ، ومبدأ الفلسفة الهيغيلية الاساسي الذي يعتبر العالم في حركة تفاعل دائمة من التحول والتطور ، قد قادا تلامذة الفيلسوف البرليني الذين كانوا لا يريدون ان يقرروا قبول الواقع ، الى التفكير بأن النضال نفسه ضد هذا الواقع ، وضد الظلم القائم والشر السائد ، هو من صلب القانون العالمي للتطور الدائم . فاذا كان كل شيء يتطور ، واذا كانت مؤسسات تقوم مقام اخرى ، فلماذا تدوم الى الابد اوتوكراطية ملك بروسيا او قيسar روسيا ، ولماذا يدوم اثراء اقلية ضئيلة جداً على حساب الاكثرية الساحقة ، ولماذا تدوم سيطرة البرجوازية على الشعب ؟ كانت فلسفة هيغل تعالج تطور العقل والافكار : لقد كانت مثالية يجعل تطور الطبيعة والانسان وعلاقات الناس الاجتماعية ناجماً عن تطور العقل . وقد احتفظ ماركس وانجلس بفكرة هيغل حول حركة التطور الدائم * ، ولكنهما طرحا وجهة النظر المثالية المفروضة سلفاً . فبالاستناد الى الحياة ، لاحظا ان ليس تطور العقل هو الذي يفسر تطور الطبيعة ، بل ان الامر على العكس تماماً ، فيجب ان نعيد منشأ العقل الى الطبيعة ، الى المادة . . . وخلافاً لهيغل ،

* لاحظ ماركس وانجلس اكثراً من مرة الهما مدينان ، الى حد كبير بتطورهما الفكري ، لكيار الفلسفة الالمان ، ولا سيما لهيغل . وقد قال انجلس : « لو لا الفلسفة الالمانية ، لما كانت هناك اشتراكية علمية » . (٥٧)

والهيغليين الآخرين ، كان ماركس وانجلس ماديين . وفي اتخاذهما عن العالم والانسانية مفهوماً مادياً ، لاحظا انه كما ان الاسباب المادية هي في اساس جميع ظاهرات الطبيعة ، كذلك تطور المجتمع البشري مشروط بتطور القوى المادية ، المنتجة ، وان علاقات الناس فيما بينهم ، خلال انتاج الاشياء الضرورية لسد حاجات الانسان ، ترتبط بتطور القوى المنتجة . وفي هذه العلاقات ، نجد التفسير لجميع ظاهرات الحياة الاجتماعية ، والمطامع ، والافكار ، والقوانين البشرية . ان تطور القرى المنتجة يخلق علاقات اجتماعية ترتكز على الملكية الخاصة ؛ ولكننا نرى اليوم كيف ان تطور القوى المنتجة نفسه ينتزع الملكية من الاكثرية ليحصرها في ايدي اقلية ضئيلة . انه يلغى الملكية ، اساس النظام الاجتماعي المعاصر ، وي sisir من نفسه نحو الهدف الذي وضعه الاشتراكيون نصب عيونهم . اما الامر الهام ، فهو ان يدرك هؤلاء الاشتراكيون اية قوة اجتماعية ، لها ، بحكم وضعها في المجتمع المعاصر ، مصلحة في تحقيق الاشتراكية ، حتى يبشروا في هذه القوة وعي مصالحها ورسالتها التاريخية . هذه القوة انما هي البروليتاريا . لقد تعرف انجلس على البروليتاريا ، في انجلترا ، في مركز الصناعة الانجليزية ، في منشستر ، حيث اقام سنة ١٨٤٢ ، مستخدماً في مؤسسة تجارية كان ابوه مسهماً فيها . فان انجلس لم يكتف بعمل بسيط في مكتب المصنع ، بل ذار الاحياء القدرة حيث كان يقطن العمال ، وحيث استطاع ان يرى ، بأم عينه ، كل بؤسهم ، وبلايامهم . ولم يكتف بلاحظاته الشخصية ، بل قرأ ايضاً كل ما سجله الغير من قبله عن حالة الطبقة العاملة الانجليزية ، ودرس درساً دقيقاً جميع الوثائق الرسمية التي تمكّن من الرجوع اليها . ان كتابه «حالة الطبقة العاملة في انجلترا» ، الذي صدر في سنة ١٨٤٥ ، كان ثمرة تلك الدراسات وتلك الملاحظات . ولقد ذكرنا آنفاً المائرة الرئيسية التي حققها انجلس في مؤلفه «حالة الطبقة العاملة في انجلترا» . كثيراً كان عدد الذين تحدثوا ، حتى قبل انجلس ، عن آلام البروليتاريا وأكدوا ضرورة مساعدتها . اما انجلس ، فكان اول من اثبت ان البروليتاريا ليست فقط الطبقة التي تتالم ، بل ان العالة الاقتصادية المخزية

التي تعانيها البروليتاريا هي التي تدفع بها الى امام دفعاً لا يُرُد ، وتحفزها الى النضال في سبيل تحررها النهائي . وال الحال ، إن البروليتاريا المناضلة ستساعد نفسها بنفسها . ان الحركة السياسية للطبقة العاملة مستفود حتما العمال الى ان يدركون ان ليس ابداً من مخرج امامهم غير طريق الاشتراكية . والاشتراكية ، من جهة اخرى ، لن تصبح قوة ، الا عندما تصبّع الهدف لنضال الطبقة العاملة السياسي . هذه هي الافكار الاساسية في كتاب انجلس عن حالة الطبقة العاملة في انجلترا ، وهي افكار مقبولة اليوم لدى مجموع البروليتاريا التي تفك وتناضل ، ولكنها كانت جديدة كل الجدة في ذلك العين . ان هذه الافكار قد عرضت في هذا الكتاب المصور باسلوب اخاذ والعاقل باصدق المشاهد ، وأشدها اثارة للرعب ، عن بؤس البروليتاريا الانجليزية . لقد كان هذا الكتاب صك اتهام رهيب ضد الرأسمالية والبرجوازية . وكان الأثر الذي احدثه عظيماً . ففي كل مكان كانوا يستشهدون بكتاب انجلس بوصفه خير صورة عن حالة البروليتاريا المعاصرة . وفعلاً ، لم يظهر ، لا قبل سنة ١٨٤٥ ، ولا بعدها ، عرض حقيقي اخاذ ، الى هذا الحد ، لشقاء الطبقة العاملة .

لم يصبع انجلس اشتراكيا الا في انجلترا . ففي منشستر اقام علاقات مع اعضاء حركة العمال الانجليزية في ذلك الوقت ، واخذ يكتب في المنشورات الاشتراكية الانجليزية . وعند عودته الى المانيا في ١٨٤٤ واثناه مروره في باريس تعرف على ماركس . وكان يراسله منذ بعض العين . ففي باريس ، وبتأثير الاشتراكيين الفرنسيين ، والحياة الفرنسية ، كان ماركس قد غدا ايضاً اشتراكياً . وهناك كتب الصديقان معاً «العائلة المقدسة» ، او انتقاد الانتقاد (النقد) . وهذا الكتاب الذي كتب ماركس القسم الاكبر منه ، والذي صدر قبل سنة من صدور كتاب «حالة الطبقة العاملة في انجلترا» : يضع الاسس لهذه الاشتراكية المادية الثورية التي عرضنا آنفاً افكارها الرئيسية . و«العائلة المقدسة» هي تسمية هزلية للأخرين الفيلسوفين ياور واتباعهما . فهؤلاء السادة كانوا يبشرون بالانتقاد الذي يضع نفسه فوق كل واقع ، فوق الاحزاب ، وفوق السياسة ، والذي ينكر كل نشاط عملى

ويكتفي بالتأمل ، «من وجهة نظر انتقادية» ، في العالم الذي يحيط به ، وفي العوادث التي تتطور فيه . ان هذين السيدين باور كانوا ينظران الى البروليتاريا من عل معتبرينها جماعة مجردة من كل تفكير انتقادي . لقد وقف ماركس وانجلس موقفاً حازماً ضد هذا الاتجاه الضار والآخرق . وباسم الشخصية الانسانية الفعلية ، اي العامل الذي تظلمه الطبقات الحاكمة والدولة ، طالباً لا بالتأمل ، بل بالنضال في سبيل تنظيم افضل للمجتمع . وهما ، بالطبع ، لا يريان الا في البروليتاريا القوة التي لها مصلحة في خوض هذا النضال والتي هي قادرة على خوضه . وقبل نشر كتاب «العائلة المقدسة» ، نشر انجلس ، في مجلة ماركس وروغه «الحولية الفرن西سية الالمانية» ، «دراسات انتقادية حول الاقتصاد السياسي» (٥٨) حلل فيها ، من وجهة نظر الاشتراكية ، الواقع الاساسية في النظام الاقتصادي المعاصر ، الناجمة ، حتماً ، عن سيطرة الملكية الخاصة . ان صلات ماركس بانجلس قد دفعت الاول ، بدون جدال ، الى الاهتمام بالاقتصاد السياسي ، هنا العلم الذي قامت مؤلفاته بشورة كاملة فيه .

ومن سنة ١٨٤٥ الى ١٨٤٧ ، عاش انجلس في بروكسل وباريس رابطاً دراساته العلمية بالنشاط العملي بين العمال الالمان في هاتين المدينتين . وفي تلك الفترة ، اقام ماركس وانجلس علاقات مع المنظمة الالمانية السرية المسماة «عصبة الشيوعيين» ، التي عهدت اليهما بعرض المبادئ الاساسية للاشتراكية التي صاغها . وهنذا صدر في سنة ١٨٤٨ بيانهما المشهور - «بيان العزب الشيوعي» . ان هذا الكتاب يساوي المجلدات الضخمة : فروحه ما تزال ، حق ايماناً ، تندى الى مجموع البروليتاريا المنظمة ، المناضلة ، في العالم المتعدد ، وتحركها .

اما ثورة ١٨٤٨ ، التي اندلعت اولاً في فرنسا ، ثم امتدت الى البلدان الاجرى من اوروبا الغربية ، فقد جعلت ماركس وانجلس يقرزان العودة الى بلادهما . وهناك ، في بروسيا الرينانية ، قاما على رأس الجريدة الديموقراطية «الجريدة الرينانية الجديدة» التي كانت تصدر في مدينة كولونيا . وكان الصديقان روح جميع

المساعي الثورية الديموقراطية في بروسيا الريتانية . وقد دافع باقصى القوة والعزز ، عن مصالح الشعب والحرية ضد القوى الرجعية . غير ان الغلبة كانت لهذه القوى الرجعية ، كما هو معلوم . فعطلت «الجريدة الريتانية الجديدة» . ولما كان ماركس قد فقد جنسيته البروسية أثناء هجرته ، فقد طرد . اما انجلس فقد أشتراك في انتفاضة الشعب المسلحة . واشترك في ثلاثة معارك من أجل الحرية ، وبعد هزيمة الثوار ، هرب الى لندن بطريق سويسرا . كذلك جاء ماركس واقام في لندن ، اما انجلس فقد عاد بعد حين مستخدماً من جديد ، ثم شريكًا في المؤسسة التجارية نفسها ، في منشستر ، حيث كان قد اشتغل في الأربعينيات . وحتى سنة ١٨٧٠ عاشا ، انجلس في منشستر ، وماركس في لندن . ولكن هذا لم يكن يمنعهما من ان تكون وحدة افكارهما وثيقة اشد الوثوق . فكانا يترا鬻ان في كل يوم تقريباً . وفي هذه المراسلات كان يطالع الصديق صديقه بآرائه ومعلوماته . وكانا يتبعان معًا صياغة الاشتراكية العلمية . وفي سنة ١٨٧٠ اقام انجلس في لندن مواصلاً مع ماركس حياتهما الفكرية المشتركة الظاهرة بنشاط شديد ، حتى عام ١٨٨٣ ، عام وفاة ماركس . وقد كانت ثمرة هذا العمل ، بالنسبة لماركس - كتابه «رأس المال» ، اعظم مؤلف في الاقتصاد السياسي في عصرنا ؛ وكانت ، بالنسبة لانجلس ، عدداً من المؤلفات الكبيرة والصغيرة . كان ماركس يعمل في تحليل الظاهرات المعقّدة في الاقتصاد الرأسمالي . وكان انجلس يعرض في مؤلفاته ، باسلوب واضح ، وجدي في كثير من الأحيان ، اعم القضايا العلمية و مختلف وقائع الماضي والحاضر ، ضمن اتجاه المفهوم المادي للتاريخ لدى ماركس ونظرياته الاقتصادية . وبين مؤلفات انجلس هذه نذكر كتابه الجدلية ضد دوهرينج (الذي حل فيه اهم قضايا الفلسفة ، والعلوم الطبيعية والاجتماعية) * ، وكتابه «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة»

* اله كتاب رائع ، تثقيفي وغني المحتوى (٥٩) . ومن المؤسف انه لم يترجم منه الى الروسية سوى جزء صغير يتعلق باللمحة التاريخية عن تطور الاشتراكية («تطور الاشتراكية العلمية» ، الطبعة الثانية ، جينيف ، ١٨٩٦) (٦٠) .

(الترجمة الروسية الصادرة في سانت-بترسبورغ ، الطبعة الثالثة ١٨٩٥) . و «لودفيغ فوربان» (٦١) (الترجمة الروسية مع ملاحظات بقلم بليغانوف ، جينيف ، ١٨٩٢) ، و مقالاً حول السياسة الخارجية للحكومة الروسية (صدرت ترجمته بالروسية في جريدة «سوسيال-ديموقراط» ، العددان الأول والثاني ، في جينيف) (٦٢) ، وأعمالات الرائعة حول مسألة السكن (٦٣) ، وأخيراً ، مقالين موجزين عن التطور الاقتصادي في روسيا ، ولكنهما ذوا قيمة كبيرة («فريدريك انجلس يكتب عن روسيا» ، الترجمة الروسية بقلم زاسوليتش ، جينيف ، ١٨٩٤). (٦٤) . وقد توفي ماركس قبل أن يتمكن من إنجاز مؤلفه العظيم عن رأس المال . أما مسودة المخطوطة فكانت جاهزة . وهكذا قام انجلس بالعبء الثقيل بعد وفاة صديقه ، فنفع وأصدر المجلدين الثاني والثالث من «رأس المال» : فقد نشر المجلد الثاني في ١٨٨٥ ، والثالث في ١٨٩٤ (ولم يتوافر له الوقت لتحضير المجلد الرابع) (٦٥) . ولقد اضطر ليبذل مجهود كبير جداً لتحضير وإصدار المجلدين المذكورين . وقد لاحظ الاشتراكي-الديموقراطي النمساوي آدلر ، بحق ، أن انجلس ، باصداره المجلدين الثاني والثالث من «رأس المال» ، قد نصب لصديقه العبرى أثراً جليلاً كتب عليه ، دونما قصد ، باحرف لا تمحي ، اسمه الخاص إلى جانب اسم ماركس . فإن هذين المجلدين من «رأس المال» هما ، بالفعل ، عمل ماركس وانجلس المشترك . إن الأساطير القديمة تروي أمثلة مؤثرة عن الصداقة . وبواسع البروليتاريا الاوروبية ان تقول ان عيلها قد خلقه عالمان ومناضلان ، تفوق علاقاتهما الشخصية ما ترويه جميع أساطير الاقدمين البالغة الاثر عن الصداقة بين الناس . ان انجلس قد وضع نفسه ، دائماً - وحقاً من حيث الاساس - بعد مرتبة ماركس . وقد كتب لأحد أصدقائه القدماء يقول : «لقد كنت دائماً ثاني عازف على الكمان بجانب ماركس» (٦٦) . لقد كان حبه لماركس ، حياً ، وتكريمه لذكره ، ميتاً ، لا حد لهما . وهذا المنافل الصارم ، والمفكر الشديد ، كان يتمتع بروح المحبة ، على نحو عميق .

بعد حركة ١٨٤٨-١٨٤٩ ، لم يتجل نشاط ماركس وانجلس في المنفى ، في ميدان العلم فقط . فقد أسس ماركس في سنة

١٨٦٤ «جمعية الشفيلة العالمية» التي امتن قيادتها مدة عشر سنوات . وكذلك ، أسلهم انجلس بقسط نشيط في شؤونها . أما «الجمعية العالمية» التي كانت ، حسبه فكرة ماركس ، توحد البروليتاريين من جميع البلدان ، فقد كان نشاطها ذات أهمية كبيرة في تطور الحركة العمالية . ومع أن هذه الجمعية قد حللت ، في السبعينيات ، فان الدور التوحيدى الذي قام به ماركس وانجلس لم يتوقف ، بل خلافاً لذلك ، نستطيع القول بأن دورهما كمرشدتين فكريتين للحركة العمالية ، كان يتعاظم دائماً ، لأن الحركة نفسها كانت تتضور دونها توقف . وبعد وفاة ماركس ، أصبح انجلس ، وحده ، المستشار والمرشد للاشتراكيين الأوروبيين . وإليه كان يأتي ، لطلب النصائح والارشادات ، الاشتراكيون الالمان ، الذين لم تنفك قوتهم تنمو نمواً سريعاً رغم الاضطهادات الحكومية ، وكذلك ممثلسو البلدان المتأخرة : الاسبانيون والرومانيون ، والروس ، الذين كانوا عليهم أن يتبعوا ويزنوا خطاهم الأولى . لقد كانوا جميعاً ينهلون من ينبوع الدفاق ، يشبع معارف الشيخ انجلس وتجربته .

ان ماركس وانجلس ، الذين كانوا يعرفان الروسية ، ويقرآن الأدب بهذه اللغة ، كانوا يهتمان بروسيا اهتماماً شديداً ، ويتبعان بعطف الحركة الثورية في هذه البلاد ، ويقيمان العلاقات مع الثوريين الروس . لقد كان كلامها ديموقراطياً ، قبل أن يصبح كلامها اشتراكياً . وكان شعورهما الديموقراطي ، الذي يدفعهما إلى العقد على التعسف السياسي ، قوياً إلى العد الاقصى . ان هذا الشعور السياسي الفطري ، بالإضافة إلى فهم نظري عميق للعلاقة بين التعسف السياسي والطغيان الاقتصادي ، وإلى تجربة غنية في الحياة ، كل هذا جعل ماركس وانجلس يتمتعان بحس مرتفع في الصداق السياسي بالذات . ولذا ، فإن النضال البطولي الذي كانت تقوم به حقيقة قليلة من الثوريين الروس ضد الحكومة القيصرية الكلية العبروت قد لاقى أشد ما يكون من العطف في قلب كل من هذين الثوريين المجريين . وعكساً لذلك ، فمحاولة الأعراض باسم منافع اقتصادية مزعومة ، لعن أهم المهام وأكثرها العاجلة الموضعية أمام الثوريين الروس ، وتعني بها الظفر بالحرية

السياسية ، أن هذه المحاولة كانت تبدو لها طبيعة العالى ، شيئاً مشتبهاً فيه ، بل كانا يعتبرانها ، بكل بساطة ، خيالية لقضية الثورة الاجتماعية الجليلة . «ان تخرب البروليتاريا يجب ان يكون من عمل البروليتاريا نفسها» (٦٧) . هذا ما علمه ذاته ماركس وإنجلس . ولكن ، لكي تناضل البروليتاريا في سبيل تحررها الاقتصادي ، يجب عليهما ان تفسر به بعض الحقوق السياسية ، ومن جهة اخرى ، كان ماركس وإنجلس يريان بوضوح ان الثورة السياسية في روسيا ستكون لها أهمية عظيمة بالنسبة للحركة العمالية في اوروبا الغربية ايضاً : فان روسيا الاوتوكراطية كانت دائماً حصن الرجعية الاوروبية كلها ، ان وضع روسيا الدولي الملائم الى اقصى حد ، والناشئ عن حرب سنة ١٨٧٠ التي ينتزت الخلاف بين المانيا وفرنسا مدة طويلة ، قد زاد زيادة لا تقبيل الجدل ، من اهمية روسيا الاوتوكراطية ، بوصفها قرة رجعية . فقط روسيا حرة ، لا تعود في حاجة ، لا الى اضطرار البروليتير والفللنديين والالمان والارمن وغيرهم من الفنحوب الصنفيرة ، ولا الى العمل دائماً على تخريض المانيا وفرنسا اخداهما على الأخرى » . ستتيبح لاوروبا المعاصرة ان تتلفس الصعداء أخيراً من اغباء العرب ، وسيتضيق جميع العناصر الرجعية في اوروبا ، وثزيد قوى الطبقة العاملة الاوروبية ، ولهذا السبب ، وفي سبيل تعاجل العراك العمالية في الغرب ايضاً ، كان إنجلس يرثى رغبة حارة في ان يقوم الغرفة السياسية في روسيا . لقد فقد الشرقيون الروس في شخصه خير صديق لهم :

الذكرى الخامسة للمناضل العظيم ؛ ولهمي البروليتاريا الكبيرين
غير يذرلك إنجلس !

المجلد ٢
 ص ١٤١

كتب في خريف ١٨٩٥ .
 نشر لأول مرة في ١٨٩٦
 في مجموعة «ذا بورنيك»
 («السعفان») ، الفصل ١٣

ملاحظات

- ١ - كتب لينين مقال «معنادر الماركسية الثلاثة واقسامها المكونة الثلاثة» لمناسبة الذكرى السنوية الثلاثين لوفاة ماركس . ص - ٣ .
- ٢ - راجعوا فريديريك انجلس «لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الالاميكية الالمانية» ، الفصل الاول . --ص ١١ .
- ٣ - في نهاية هذا المقال ، المكتوب عام ١٩١٤ لمعجم غرانات الموسوعي ، اعطى لينين عرضاً عن الادب الماركسي وعن الماركسية . لم ينشر هذا العرض في هذه الطبعة . --ص ١١ .
- ٤ - يشار الى مقال كارل ماركس «تبذلة مراسل الموزل» . --ص ١١ .
- ٥ - كارل ماركس . «مساهمة في نقد فلسفة الحق عند هيغل . المقدمة» . . ص - ١٢ .
- ٦ - عصبة الشيوعيين - اول منظمة عالمية للبروليتاريا . دامت من اوائل حزيران (يونيو) ١٨٤٨ حتى ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥٢ . تأسست عصبة الشيوعيين على اساس عصبة العادلين التينظمها العمال والحرفيون في اواسط الثلاثينيات من القرن التاسع عشر والتي عملت بصورة سرية في مختلف بلدان اوروبا . في اوائل ١٨٤٧ ، اقتنع المشتركون في هذه العصبة بصحة آراء ماركس والجلس ، وعرضوا عليهما الالتساب الى العصبة والاشتراك في اعادة تنظيمها ووضع برنامج للعصبة . فوافق ماركس وانجلس على هذا العرض .
في مستهل حزيران (يونيو) ١٨٤٧ ، انعقد في لندن مؤتمر عصبة العادلين ، ودخل في التاريخ بوصفه اول مؤتمر لعصبة الشيوعيين . بنى المؤتمر اساس شاطئه على مبادئ نظرية ماركس

والجلس الثورية . انعقد المؤتمر الثاني لعصبة الشيوعيين في لندن من ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) الى ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٧ وعهد الى ماركس والجلس بوضع بيان . نشر هذا البيان في شباط (فبراير) ١٨٤٨ ، وهو واسع الشهرة تحت اسم «بيان الحزب الشيوعي» .

في ١٧ تشرين الثاني ١٨٥٢ ، اي بعد محاكمة الشيوعيين في كولونيا بفتره وجيزه ، اعلنت عصبة الشيوعيين عن حل نفسها بناء على اقتراح من ماركس .

لعبت عصبة الشيوعيين دوراً تاريخياً كبيراً بوصفها مدرسة للثوريين البروليتاريين ، بوصفها جنين الحزب البروليتاري وسلف جمعية الشفيلة العالمية (الاممية الاولى) . - ص ١٢ .

٧ - المقصود هنا الثورة البرجوازية في فرنسا في شباط (فبراير) ١٨٤٨ . - ص ١٣ .

٨ - المقصود هنا الثورة البرجوازية في المانيا والنمسا التي ابتدأت في آذار (مارس) ١٨٤٨ . - ص ١٣ .

٩ - المقصود هنا المظاهر الشعبية التي نظمها في باريس حرب البرجوازية الصغيرة («الجبل») ، احتجاجاً على انتهاك الرئيس واغلبية الجمعية التشريعية للأوضاع الدستورية التي ادخلتهما ثورة ١٨٤٨ . فرقت الحكومة المظاهر . - ص ١٣ .

١٠ - يقصد ليتين طبعة مراسلات ماركس وانجلس التي صدرت في المانيا في ايلول (سبتمبر) ١٩١٣ في اربعة مجلدات . - ص ١٣ .

١١ - يقصد ليتين المقال الهجائي الذي كتبه ماركس «السيد فوغت» والذي جاء جواباً على الكرازة الافتراضية للعميل البوابي كارل فوغت («دعواي على Allgemeine Zeitung» . («الفيمائين زايتونغ») . - ص ١٣ .

١٢ - المقصود هنا «البيان التأسيسي لجمعية الشفيلة العالمية» . - ص ١٤ .

١٣ - حكومة باريس - اول حكومة ثورية للطبقة العاملة ، انشأتها الطبقة العاملة في باريس بنتيجة اتفاقية عام ١٨٧١ . دامت ٧٢ يوماً ، من ١٨ آذار (مارس) حتى ٢٨ أيار (مايو) ١٨٧١ فصلت الكومنولث الدين عن الدولة والمدرسة عن الدين ، واستغاضت عن الجيش الدائم بتسلیح الشعب تسلیحاماً ، واقررت انتخاب القضاة والموظفين من قبل الشعب واعلنت انه يجب ان لا

تزييد رواتب الموظفين على اجور العمال ، وطبقت جملة من الاجراءات لتحسين الاوضاع الاقتصادية للعمال وفقراء المدن ، والخ .. في ٢١ ايار ١٨٧١ اقتحمت قوات حكومة تيير المعادية للثورة باريس ، ونكلت بقساوة بعمال باريس : فقد قتلت حوالي ٣٠ الف شخص ، واعتقلت زهاء ٥٠ الف شخص ، كذلك حكم على الالوف بالاشغال الشاقة . - ص ١٤ .

٤ - **الباكونينية** - تيار اسمي باسم ميخائيل الكسندروفيتش باكونين ، ايديولوجي الفوضوية . ناضل الباكونيين باصرار وعناد ضد النظرية الماركسية ضد التكتيك الماركسي للحركة العمالية . الموسوعة الرئيسية في الباكونينية هي انكار كل دولة ، بما في ذلك دولة ديمقراطية البروليتاريا ؟ كذلك تميزت الباكونينية بعدم فهم دور البروليتاريا العالمي التاريخي . وباعتقاد الباكونيين أنه كان ينبغي لجمعية ثورية سرية مؤلفة من شخصيات «بارزة» ان تقود فتناً شعبياً تتشعب في الحال .

ان تكتيكم القائم على التآمر والفتنة الفورية والارهاب كان تكتيكساً مغامراً ومعادياً للمذهب الماركسي عن الانتفاضة . والباكونينية قريبة من البرودونية ، التيار البرجوازي الصغير الذي يعكس ايديولوجية المالك الصغير الذي حل به الخراب .

وبما ان باكونين وضع نصب عينيه الاستيلاء على المجلس العام ، فقد ناضل ضد ماركس دون ان يتزدد عن اللجوء الى اي وسيلة كانت . في عام ١٨٧٢ ، طرد مؤتمر لاهاي من الاممية الأولى زعيمي الفوضوية باكونين وغليوم بسبب لشاطئها التخريبي : ندد ماركس والمجلس بشدة بنظرية الباكونيين وتكتيكم . -

ص ١٤

٥ - **جمعية الشغيلة العالمية (الاممية الاولى)** - اول منظمة جماهيرية عالمية للبروليتاريا (١٨٦٤-١٨٧٦) . كان كارل ماركس منظم وقاد الاممية الاولى ، ومؤلف «بيانها التأسيسي» وواضع نظامها الداخلي وغير ذلك من وثائقها البرنامجية والتكتيكية . قادت الاممية الاولى النضال الاقتصادي والسياسي الذي كان يخوضه عمال مختلف البلدان ووطدت تضامنهم العالمي . قامت الاممية الاولى بدور بالغ في ترويج الماركسية وفي ربط الاشتراكية بالحركة العمالية . - ص ١٤ .

٦ - راجعوا فريدريك انجلس . «لودفيغ فورباخ ولهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية» ، الفصل الثاني ، - ص ١٧ .

- ١٧ - فريديريك الجلس . « ضد دوهرينج » . (الفصل الحادي عشر : مقدمة الطبعات الثلاث . ٤ - ملاحظات عامة) . - ص ١٨ .
- ١٨ - فريديريك الجلس . « لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية » . (الفصل الرابع ، الفصل الاول) . - ص ١٩ .
- ١٩ - فريديريك الجلس . « ضد دوهرينج » . (الفصل الاول . ملاحظات عامة) . - ص ١٩ .
- ٢٠ - فريديريك الجلس . « لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية » . (الفصل الثاني) . - ص ٢٠ .
- ٢١ - كارل ماركس . « رأس المال » . المجلد الاول (الفصل الثالث عشر . الآلات والصناعة الكبيرة . ١- ظهور الآلات) . - ص ٢٠ .
- ٢٢ - عهد عودة الملكية - مرحلة في تاريخ فولسا تمت من ١٨١٤ الى ١٨٣٠ عادت خلالها سلطة الدولة الى اسرة بوربون الملكية بعد ان استقطتها الثورة البرجوازية الفرنسية في عام ١٧٩٢ . - ص ٢٣ .
- ٢٣ - كارل ماركس . « رأس المال » . المجلد الاول (الفصل الاول : البضاعة . ٤ - الصفة الصنمية للبضاعة وسرها) . - ص ٢٦ .
- ٢٤ - كارل ماركس . « مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي » . (الفصل الاول : البضاعة) . - ص ٢٦ .
- ٢٥ - كارل ماركس . « رأس المال » . المجلد الاول (الفصل الرابع : تحول النقد الى رأسمال . ٣ - شراء وبيع قوة العمل) . - ص ٢٦ .
- ٢٦ - كارل ماركس . « رأس المال » . المجلد الاول (الفصل الرابع : تحويل النقد الى رأسمال . ٣ - شراء وبيع قوة العمل) . - ص ٢٧ .
- ٢٧ - كارل ماركس . « رأس المال » . المجلد الاول (الفصل الرابع والعشرون : ما يسمى بالتراكم البدائي . ٧ - الاتجاه التاريني للتراكم الرأسمالي) : - ص ٣٠ :
- ٢٨ - « نظرية حدود المنفعة » - نظرية اقتصادية مبتداة تمدح النظام البرجوازي . ظهرت في السبعينيات من القرن التاسع عشر كمقابل لنظرية قيمة العمل التي صاغها ماركس .
تقول نظرية حدود المنفعة ، ان المنفعة هي مصدر القيمة ، لا العمل ، علماً بان منفعة الوحيدة الاخيرة ، هي المنفعة الخامسة (اذا كان « والذات المالك » يملك عشر قطع من الخبز ، فان المنضر الخامس هو منفعة القطعة العاشرة) .

ومن هنا تعبير «حدود المنفعة» ، علماً بأن مستوى «حدود المنفعة» للشيء المعين يتوقف على الحاجة إلى هذا الشيء ، على تدرجه ، الخ . . وبما أن نظرية «حدود المنفعة» وسيلة من وسائل طمس استثمار قوة العمل المأجور في ظل الرأسمالية ، فهي واسعة الانتشار في الاقتصاد السياسي البرجوازي . . . ص ٣١ .

٢٩ - كارل ماركس . «رأس المال» . المجلد ٣ (الفصل السابع والأربعون : أصل الريع الرأسمالي . ٤ - الريع النقدي) . . . ص ٣٤ .

٣٠ - كارل ماركس . «رأس المال» . المجلد الأول (الفصل الرابع والعشرون : ما يسمى بالتراكم البدائي . ٥ - ثائرة الثورة الزراعية المعاكسة على الصناعة) . . . ص ٣٤ .

٣١ - كارل ماركس . «رأس المال» . المجلد الأول (الفصل الثالث والعشرون : القانون العام للتراكم الرأسمالي . ٤ - الاشكال المختلفة للفاصل النسبي من السكان) . . . ص ٣٤ .

٣٢ - كارل ماركس . «النضال الطبقي في فرنسا من ١٨٤٨ إلى ١٨٥٠» . (الفصل الثالث : عواقب ١٣ حزيران - يونيو - ١٨٤٩) . . . ص ٣٥ .

٣٣ - راجعوا كارل ماركس . «الثامن عشر من برمير لويس بونابرت» (الفصل السابع) . . . ص ٣٥ .

٣٤ - كارل ماركس . «النضال الطبقي في فرنسا من ١٧٤٨ إلى ١٨٥٠» . (الفصل الثالث : عواقب ١٣ حزيران - يونيو - ١٨٤٩) . . . ص ٣٥ .

٣٥ - كارل ماركس . «رأس المال» . المجلد الثالث (الفصل السابع وال الأربعون : أصل الريع العقاري الرأسمالي . ٥ - المحاصصة والملكية الفلاحية الصغيرة) . . . ص ٣٦ .

٣٦ - انجلس . «مسألة الفلاحين في فرنسا والمانيا» (الفصل الثاني) . . . ص ٤٠ .

٣٧ - راجعوا رسالة ماركس إلى الجلس في ٩ نيسان (أبريل) ١٨٦٣ . . . ص ٤١ .

٣٨ - راجعوا رسالة الجلس إلى ماركس في ٥ شباط (فبراير) ١٨٥١ . . . ص ٤١ .

٣٩ - راجعوا رسالة الجلس إلى ماركس في ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٥٧ . . . ص ٤٢ .

- ٤٠ - راجعوا رسالة المجلس الى ماركس في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٥٨ . - ص ٤٢ .
- ٤١ - راجعوا رسالة المجلس الى ماركس في ٨ نيسان (ابريل) ١٨٦٣ . - ص ٤٢ .
- ٤٢ - راجعوا رسالة ماركس الى المجلس في ٩ نيسان (ابريل) ١٨٦٣ . - ص ٤٢ .
- ٤٣ - راجعوا رسالة ماركس الى المجلس في ٢ نيسان (ابريل) ١٨٦٦ . - ص ٤٢ .
- ٤٤ - راجعوا رسالة ماركس الى المجلس في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٩ . - ص ٤٢ .
- ٤٥ - راجعوا رسالة المجلس الى ماركس في ١١ آب (اغسطس) ١٨٨١ . - ص ٤٢ .
- ٤٦ - المقصود هنا الانتفاضة الثورية الوطنية الديموقراطية في جمهورية كناكوفيا - الخاضعة منذ عام ١٨١٥ لرقابة مشتركة من قبل النمسا وبروسيا وروسيا . في سياق الانتفاضة ، الشا الثوار حكومة وطنية اصدرت بيانا بالغاء الاتاوات الاقطاعية ووعدت بتسليم الفلاحين الاراضي على سبيل العلقيمة . بدون تعويض . وفي نداءات اخرى ، اعلنت الحكومة عن تأميم المشاغل الوطنية وعن زيادة الاجور فيها وعن اقرار المساواة بين المواطنين . ولكن سرعان ما تم قمع الانتفاضة . - ص ٤٢ .
- ٤٧ - كارل ماركس . «البرجوازية والثورة المضادة» (الفصل الثاني) . - ص ٤٢ .
- ٤٨ - راجعوا رسالة ماركس الى المجلس في ١٦ نيسان (ابريل) ١٨٥٦ . - ص ٤٣ .
- ٤٩ - راجعوا رسالة المجلس الى ماركس في ٢٧ كانون الاول (يناير) ١٨٦٥ . - ص ٤٣ .
- ٤٥ - راجعوا رسالة المجلس الى ماركس في ٥ شباط (فبراير) ١٨٦٥ . - ص ٤٤ .
- ٤٦ - اليونكر - ملاك الاراضي في بروسيا . - ص ٤٤ .
- ٤٧ - راجعوا رسائل المجلس الى ماركس في ١١ حزيران (يونيو) ١٨٦٣ ، في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٣ ، في ٤ ايلول

(سبتمبر) ١٨٦٤ ، في ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٦٥ ، في ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٦٧ ، في ٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٦٧ ، ورسائل ماركس إلى الجلس في ١٢ حزيران (يونيو) ١٨٦٣ ، في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٦٤ ، في ٣ شباط (فبراير) ١٨٦٥ ، في ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٦٧ . - ص ٤٤ .

٣٥ - راجعوا رسالسة ماركس الى كوغلمان في ١٢ نيسان (ابريل) ١٨٧١ . - من ٤٤ .

٤٥ - القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين سنته في المانيا حكومة بيسمارك في سنة ١٨٧٨ بقصد مكافحة الحركة العمالية والاشتراكية . بموجب هذا القانون ، منعت جميع منظمات الحزب الاشتراكي الديموقراطي ومنظمات العمال الجماهيرية ومحافضة العمال وصودرت المطبوعات الاشتراكية ، وتعرض الاشتراكيون - الديموقراطيون لللاحقات والنفي . في سنة ١٨٩٠ ، الذي القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين تحت خفط الحركة العمالية الجماهيرية المتعاظمة باستمرار . - ص ٤٥ .

٥٥ - راجعوا رسائل ماركس الى انجلس في ٢٣ تموز (يوليو) ١٨٧٧ ، في اول آب (اغسطس) ١٨٧٧ ، في ١٠ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٩ ، ورسالتى انجلس الى ماركس في ٢٠ آب (اغسطس) ١٨٧٩ ، في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٩ . - ص ٤٥ .

٥٦ - هدان البيتان من الشعر اللدان توج بهما لينين مقالة «فريديريك الجلس» مما من قصيدة «ذكرى دوبروليو بوف» للشاعر الروسي الكبير نيكاراسوف . - ص ٦ .

^{٥٧} - الجلس . مقدمة لكتاب « حرب الفلاحين في المايا » . - ص ٤٨ .

٥٨ - المقصود هنا مؤلف انجلس «دراسات حول نقد الاقتصاد السياسي» . - ص ٥١ .

٥٩ - المقصود كتاب انجلس «ضد دوهرينج» . السيد اوجين دوهرينج يقلب العلم » . - من ٥٢ .

٦٠ - تحت هذا العنوان صدر باللغة الروسية سنة ١٨٩٢ مؤلف انجليز «الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية» المبني على ثلاثة فصول من مؤلف انجليز «ضد دورينغ» - ص ٥٢ .

٦١ - انجلس . ولودفيغ فورباخ وبهاية الفلسفة الكلاسيكية
الالمانية . - ص ٥٣ .

- ٦٢ - يقصد لينين مقال الجلس «القيصرية الروسية وسياساتها الخارجية» المنشور في الكتبين الأول والثاني من مجلة «سوسيال ديموغراف» .
- «سوسيال - ديموغراف» - عرض في الادب والسياسة اصدرته فرقه «تحرير العمل» في الخارج (لندن - جينيف) من ١٨٩٠ الى ١٨٩٢ . اضطلع العرض بدور كبير في نشر الافكار الماركسية في روسيا . لم يصدر منه غير اربعة كتب . - ص ٥٣ .
- ٦٣ - يقصد لينين مقالات الجلس «حول مسألة السكن» . - ص ٥٣ .
- ٦٤ - المقصود هنا مقال الجلس «العلاقات الاجتماعية في روسيا» وخاتمة هذا المقال ، وقد ادرجها في كتاب «فريديريك الجلس عن روسيا» ، الذي صدر سنة ١٨٩٤ في جينيف . - ص ٥٣ .
- ٦٥ - يطلق لينين اسم المجلد الرابع من «رأس المال» ، وفقا لافارة الجلس ، على مؤلف ماركس «نظريات القيمة الزائدة» المكتوب في ١٨٦٣-١٨٦٦ . فقد كتب الجلس في مقدمته للمجلد الثاني من «رأس المال» يقول : «أخذ على نفسى نشر القسم الالتقادي من هذه المخطوطة («نظريات القيمة الزائدة» - الناشر) بشكل كتاب رابع من «رأس المال» على ان تتحذف منها اماكن كثيرة استوى بحثها في الكتابين الثاني والثالث» . (كارل ماركس . «رأس المال» . المجلد الثاني . الطبعة الروسية . عام ١٩٥٥ . ص ٢) . الا انه لم يتسع لانجلس ان يحضر للطبع المجلد الرابع من «رأس المال» . بادرت «نظريات القيمة الزائدة» لأول مرة باللغة الالمانية في سنتي ١٩٠٥ و ١٩١٠ كما حضرها كارل كاوتسكي . وفي هذه الطبعة لم تراع المتطلبات الاساسية في نشر النصوص العلمية وشوهدت جملة من موضوعات الماركسية . صدرت «نظريات القيمة الزائدة» (المجلد الرابع من «رأس المال») للمرة الاولى وفقا لمخطوطة ١٨٦٣-١٨٦٦ ، وذلك في سنوات ١٩٥٥-١٩٦١ . وبإشراف معهد الماركسيات اللينينية لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي . - ص ٥٣ .
- ٦٦ - المقصود هنا رسالة الجلس الى بيكر في ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٤ . - ص ٥٣ .
- ٦٧ - ماركس . «النظام الداخلي العام لجمعية الشفيلة العالمية» ^٦ الجلس . مقدمة الطبعة الالمانية لعام ١٨٩٠ من «بيان العربي الشيوعي» . - ص ٥٥ .

دلیل اقسام

ابيقرور (حوالي ٣٤١ - حوالي ٢٧٠ قبل الميلاد) - فيلسوف مادي اغريقى . ملحد . - ص ١٠ .

أدلى فكتور (١٨٥٢ - ١٩١٨) - أحد منظمي وقادة الاشتراكية الديموقراطية النمساوية.

في العقدين التاسع والعشر من القرن التاسع عشر ، اقام علاقات مع فريدريك انجلس ، ولكن سرعان ما انزلق الى الاصلاحية بعد موت انجلس . - ص ٥٣ .

انجلس فريلويك (١٨٢٠ - ١٨٩٥) - أحد مؤسسي الشيوعية العلمية . زعيم ومعلم البروليتاريا العالمية . صديق كارل ماركس ورفيقه في الكفاح والفكر . - ص ٤ ، ٦ ، ٩ ، ١٦ ، ٢١-٢٣ ، ٣٩-٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٥-٥٧ .

ایفلیتغ ادوارد (۱۸۵۱-۱۸۹۸) - اشتراکی انگلیزی : ادیب و کاتب اجتماعی و سیاسی؛ زوج ابنة مارکس ایلیونور . - ص ۱۴ :

أيغليثغ أيليوتور - راجروا ماركس أيليليونور .
باكونين ميخائيل الكستنروفيتش (١٨١٤ - ١٨٧٦) - ايديولوجي
القوسنية . - من ١٤ .

باور برونو (١٨٠٩ - ١٨٨٢) - فيلسوف مثالى المانى . من ابرز الهايغلين الشباب . انتقد ماركس وانجلس نظرات باور المثالية في مؤلفيهما «العائلة المقدسة» ، او انتقاد الانتقاد النقاد . ضد برونو باور وشركاه» (١٨٤٤) و«الايديولوجية الالمانية» (١٨٤٥-١٨٤٦) . - من ١٠ ، ١١ ، ٥٠ .

باور ادغار (١٨٢٠ - ١٨٨٦) - كاتب اجتماعي وسياسي الماني . من الهيغليمين الشباب . اخو برونو باور . - ص ٥٠ .

برودن بيير جوزيف (١٨٠٩ - ١٨٦٥) - كاتب اجتماعي وسياسي فرنسي . واقتصادي وعالم اجتماع . ايديولوجي البرجوازية الصغيرة . احد مؤسسي الفرضوية . - ص ١٢ ، ١٤ .

بلينغانوف عثيورغى فالنتينو فيتش (١٨٥٦ - ١٩١٨) - قائد بارز في الحركة العمالية الروسية والعالمية ، اول داعية للماركسيه في روسيا .

بعد المؤتمر الثاني حعاددر (عام ١٩٠٣) ، وقف بلينغانوف موقف التصالح والتوافق مع الانتهازية ، ثم التصق بالمناشفة (التيار الانتهازي في الاشتراكية-الديمقراطية الروسية) . - ص ٥٣ .

بوختر فريديريك كارل خريستيان لودفيغ (١٨٤٤ - ١٨٩٩) - فيلسوف الماني ، احد الممثلين الرئيسيين للمادية الميتذلة . طبيب من حيث المهنة . - ص ١٧ .

بيسمارك اوتو ادوارد ماوري (١٨١٥ - ١٨٩٨) - رجل دولة في بروسيا والمانيا . كان هدفه الاساسي توحيد الدوليات الالمانية المتفرقة الصغيرة بالعنف ، وتأسيس الامبراطورية الالمانية الواحدة الموحدة بروسيا . في كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ ، شغل بيسمارك منصب مستشار الرئيس للامبراطورية الالمانية وشرف خلال ٢٠ سنة على سياسة المانيا الداخلية والخارجية كلها . في عام ١٨٧٨ ، مرر بيسمارك القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين ، ولكن جميع المحاولات الرامية الى خنق الحركة العمالية لم تتکمل بالنجاح . في عام ١٨٩٠ ، اضطرت السلطة الالمانية لالقاء القانون الاستثنائي . وفي العام نفسه ، اقيل بيسمارك . - ص ١٢ ، ٤٤ .

تيرر ادولف (١٧٩٧ - ١٨٧٧) - مؤرخ ورجل دولة فرنسي . جlad كومونه باريس في سنة ١٨٧١ . - ص ٢٣ .

تيرري اوغوستن (١٧٩٥ - ١٨٥٦) - مؤرخ فرنسي ليبيرالي الاتجاه . اعترف تيرري بانقسام المجتمع الى طبقات وبالنضال الطبقي بين البرجوازية والارستقراطية ، ولكنه حاول ان يبرهن

ان منشأ الطبقات كان نتيجة لاستيلاء بعض الشعوب على شعوب أخرى . انكر التناحر الطبقي بين البرجوازية والبروليتاريا . - ص ٢٣ .

دوهرينج أوجين (١٨٣٣ - ١٩٢١) - فيلسوف واقتصادي الماني . كانت نظرات دوهرينج الفلسفية خليطة اختبارياً من الروضية والمادية الميتافيزيائية والمثالية . - ص ١٨ ، ٢٠ ، ٣١ . روبيروس - ياخويتسوف يوهان كارل (١٨٧٥ - ١٨٠٥) - سياسي واقتصادي مبتدئ الماني . أحد نظريي «اشتراكية الدولة» البروسية . - ص ٣٢ .

روغه ارنولد (١٨٠٢ - ١٨٨٠) - كاتب اجتماعي وسياسي الماني . من الميغليين الشباب . راديكالي برجوازي . في عام ١٨٤٤ ، اصدر في باريس مع كارل ماركس مجلة „Deutsch-Französische Jahrbücher“ («الدولية الالمانية الفرنسية») . - ص ١١ ، ١٢ ، ٥١ .

ديكاردو دافيد (١٧٧٢ - ١٨٢٣) - اقتصادي الجليزي . من اكبر ممثلي الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي . - ص ٣٢ ، ٥ .

راسوليتش فيرا ايقانوفنا (١٨٤٩ - ١٩١٩) - مناضلة نشيطة في الحركة الشعبية ثم في الحركة الاشتراكية-الديمقراطية في روسيا ؛ فيما بعد ، وقفت مواقف المنشفيه (التيار الانتهازي في الاشتراكية-الديمقراطية الروسية) . - ص ٥٣ .

زورغه فريديريك ادولف (١٨٢٨ - ١٩٠٦) - اشتراكي الماني . شخصية بارزة في الحركة العمالية والاشتراكية الاميركينية والعالمية . من اعضاء الاممية الاولى النشيطة ؛ صديق ماركس وانجلس ورفيقهما في الفكر والكفاح . - ص ٤٥ .

سميث آدم (١٧٢٣ - ١٧٩٠) - اقتصادي الجليزي . من اكبر ممثلي الاقتصاد السياسي البرجوازي الكلاسيكي . - ص ٢٩ ، ٥ . شابتر كارل (١٨١٢ - ١٨٧٠) - قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية والعالمية . عضو اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين . اشتراك في ثورة ١٨٤٨ - ١٨٤٩ ، احد زعماء فريق «اليساريين»

الانعزالي اثناء انشقاق عصبة الشيوعيين (عام ١٨٥٠) . في عام ١٨٥٦ ، بعد ان فهم خطأ مواقفه ، اقترب من جديد من ماركس . وانجلس . - ص ٤٣ .

شتين لورثنس (١٨١٥ - ١٨٩٥) - باحث برجوازي الماني في مسألة الدولة . اقتصادي مبتدل . - ص ٢٠ .

غميزو فرانسوا بييار شيموم (١٧٨٧ - ١٨٧٤) - مؤرخ ورجل دولة فرنسي . منذ ١٨٤٠ حتى ثورة شباط (فبراير) ١٨٤٨ ، اشرف فعلاً على السياسة الداخلية والخارجية ، واعرب عن مصالح البرجوازية الكبيرة . - ص ٣٣ .

فوردبانغ لودفيغ (١٨٠٤ - ١٨٧٢) - فيلسوف مادي وملحد الماني بارز . كانت مادية فوربانغ ، رغم طابعها المحدود ، التأملي ، احد المصادر النظرية للفلسفة الماركسيّة . - ص ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ .

فوخت كارل (١٨١٧ - ١٨٩٥) - عالم طبيعتيات الماني . مادي مبتدل . - ص ١٣ : ١٧ .

كانط عمانوئيل (١٧٢٤ - ١٨٠٤) - مؤسس الفلسفة الالمانية الكلاسيكية . كتب لينين يقول : «ان السمة الاساسية التي تتصف بها فلسفة كانط هي التوفيق بين المادية والمثالية ، المساومة بين هذه وتلك ، الجمع في نظام واحد بين اتجاهات فلسفية متضادة ، مختلفة» . - ص ١٧ .

كونفلمان لودفيغ (١٨٣٠ - ١٩٠٢) - اشتراكي ديموقراطي الماني . صديق كارل ماركس . اشترك في ثورة ١٨٤٨ - ١٨٤٩ في المانيا . عضو الاممية الاولى . من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٧٤ ، تراسل مع ماركس ، واطلعه على الوضع في المانيا . - ص ٤٤ .

لاسال فريديناند (١٨٢٥ - ١٨٦٤) - اشتراكي برجوازي صغير الماني . احد مؤسسي اتحاد العمال الالمان العام (عام ١٨٦٣) . كان لتأسيس الاتحاد اهمية ايجابية بالنسبة للحركة العمالية ، ولكن لاسال ، بعد انتخابه رئيساً للاتحاد ، قاده في طريق الانتهازية . انتقد ماركس وانجلس نظرات لاسال النظرية والسياسية انتقاداً حداً . - ص ٤٤ ، ٤٣ ، ١٤ .

- لافارغ لورا - راجو ماركس لورا .
 لونقه جان (١٨٧٦ - ١٩٣٨) - مناضل في الحزب الاشتراكي الفرنسي والاممية الثانية . كاتب اجتماعي وسياسي . ابن شارل لونقه وجيني ماركس . - ص ١٥ .
- لونقه جيني (١٨٤٤ - ١٨٨٣) - مناضلة في الحركة العمالية العالمية ابنة كارل ماركس الكبیرى . زوجة شارل لونقه . - ص ١٥ .
- لونقه شارل (١٨٣٩ - ١٩٠٣) - مناضل في الحركة العمالية الفرنسية . برودوني . صحفي . في ١٨٧١ ، عضو كومونة باريس . - ص ١٥ .
- ليبكتخت ولهم (١٨٢٦ - ١٩٠٠) - قائد بارز في الحركة العمالية الالمانية والعالمية . احد مؤسسي وذعماء الحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني . كان ليبكتخت منذ عام ١٨٧٥ حتى وفاته ، عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي-الديموقراطي الالماني ، والمحرر المسؤول عن لسان حالي المركزي "Vorwärts" («فوروارتس» - «إلى الأمام») . اشتراك ليبكتخت بنشاط في نشاط الاممية الاولى وفي تأسيس الاممية الثانية . - ص ٤٤ .
- ماركس ايليونور (١٨٩٨-١٨٥٥) - مناضلة في الحركة العمالية الانجليزية والعالمية . ابنة ماركس الصغرى . زوجة الاشتراكي الانجليزي ايفلينغ . - ص ١٥ .
- ماركس جيني (متعددة من عائلة فون ويستفالن) (١٨١٤ - ١٨٨١) - زوجة كارل ماركس ، وصديقتها ومعاونه الامينة . - ص ٥ .
- ماركس كارل (١٨١٨ - ١٨٨٣) - مؤسس الشيوعية العلمية . مفكر عبقري . زعيم ومعلم البروليتاريا العالمية . - ص ٣٣-٣٦ ، ٣٨ ، ٥٥-٣٨ .
- ماركس لورا (١٨٤٥ - ١٩١١) - مناضلة في الحركة العمالية الفرنسية . ابنة كارل ماركس . زوجة بول لافارغ . - ص ١٥ .

ماركس هنريخ (١٧٨٢-١٨٣٨) - والد كارل ماركس . محام ، ثم مستشار العدلية في تrier . كان يتبنى نظرات ليبرالية . ص ٩ .

مازيني جوزيه (١٨٠٥ - ١٨٧٢) - ديموقراطي برجوازي . أحد زعماء رايديلوجي حركة التحرر الوطني الإيطالية . تقدم مازيني ب برنامجه لتوحيد إيطاليا «من تحت» في جمهورية برجوازية مستقلة ، واعتبر الانتفاضة وسيلة النضال الأساسية . ولكن مازيني تميز بتكتيك التامر وبتجاهله مصالح الفلاحين . روج مازيني خطة برجوازية صغيرة طوبوية لحل المسالة العمالية عن طريق «التعاون بين العمل والرأسمال» . - ص ١٤ .

موست يوهان يوسف (١٨٤٦ - ١٩٠٦) - اشتراكي - ديموقراطي الماني ، ثم فوضوي . بعد صدور القانون الاستثنائي ضد الاشتراكين في عام ١٨٧٨ ، هاجر إلى بريطانيا ، ثم (في عام ١٨٨٢) إلى أميركا حيث واصل القيام بالدعائية الفوضوية . ص ٦ ، ٤٥ .

موليشوت ياكوب (١٨٢٢ - ١٨٩٣) - عالم فيزيولوجي هولندي . من كبار ممثلي المادية المبتدلة . - ص ١٧ .

مينيه هرانسوا أوغوست ماري (١٧٩٦ - ١٨٨٤) - مؤرخ فرنسي ليبرالي الاتجاه . اعترف بدور النضال الطبقي في التاريخ ، مثله في ذلك مثل سائر المؤرخين الليبراليين في مرحلة العودة ، ولكنه حصره في النضال بين البرجوازية والارستقراطية العقارية . حاول في أعماله أن يعلل حق البرجوازية في السلطة السياسية ، ووقف من نضال العمال ضد العمالة الثورية موقفاً سلبياً . - ص ٢٣ .

هكسلي توماس هنري (١٨٢٥-١٨٩٥) - عالم طبيعيات إنجلزي ، من أقرب رفاق دارفين بالفکر : ناشر مذهبة . في الفلسفة ، اعتبر هكسلي نفسه من اتباع المثالي هيوم . ولكنه كان يقف مراقباً للمادية حين كان يبحث في المسائل الملحوظة في الطبيعيات . - ص ١٧ .

هوليووك جورج جاكوب (١٨١٨ - ١٩٠٦) - قائد في الحركة التعاونية البريطانية . اصلاحي . - ص ٤٢ .

هيغل غيودغ ولهم فريديريك (١٧٧٠ - ١٨٣١) - من اكبر فلاسفة الالمان . مثالى موضوعي . صاغ هيغل بصورة عميقة وشاملة ، وعلى اساس المثالية ، مذهب التطور الديالكتيكي . اعاد ماركس وانجليس بروح النقد صياغة ديدالكتيك هيغل المثالي ، واسسا الديالكتيك المادي الذي يعكس اعم قوانين تطور العالم الموضوعي والتفكير البشري . - ص ٤ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٤٨ .

هيوم دافيد (١٧١١ - ١٧٧٦) - فيلسوف انجليزي . مثالى ذاتي . لاعرقاني . - ص ١٧ .

ويستفالن چيني - راجوا ماركس جيني . ويستفالن هرديناند اوتو ولهم (١٧٩٩ - ١٨٧٦) - رجل دولة بروسي . احد ممثلى الارистقراطية الاقطاعية اليروسية . ملكي . اخو چيني ويستفالن ، زوجة كارل ماركس . في سنوات ١٨٥٨-١٨٥٩ ، وزير الداخلية في بروسيا . - ص ٤٥ .

ويليغ اوسميت (١٨١٠ - ١٨٧٨) - ضابط بروسي . عضو عصبة الشيوعيين . اشتراك في اتفاقية بادن . بفالتس عام ١٨٤٩ . احد زعماء الكتلة الانعزالية المغامرة التي انفصلت عن عصبة الشيوعيين في عام ١٨٥٠ . - ص ٤٣ .

محتويات

مقدمة الماركسية الثلاثة وأقسامها المكونة الثلاثة	٣
١	٤
٢	٥
٣	٦
كارل ماركس . (موجز عن تاريخ حياة كارل ماركس . يتضمن عرضاً للماركسية)	٧
مقدمة	٩
مذهب ماركس	١٥
المادية الفلسفية	١٥
الذياكتيك	١٨
المفهوم النادي للتاريخ	٢٠
النضال الطبقي	٢٢
مذهب ماركس، الاقتصادي	٢٤
القيمة	٢٦
القيمة الرواندة	٢٧
الاشتراكية	٣٦
فاكتيك نضال البروليتاري الطبقي	٤٠
فريدرريك انجلس	٤٤
ملاحظات	٤٦
دليل الأسماء	٤٧